"لا بد وأن يكتب أحدهم شيئًا عن النهاية"

كتاب نيبو الأزرق

مانون ستيفان روس

ترجمة: يمنى خالد شيرازي



روايات مترجمة

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:



كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

كتاب نيبو الأزرق
(لابد وأن يكتب أحدهم شيئًا عن النهاية)

رواية مترجمة..

مانون ستيفيان روس

ترجمة: يمنى خالد شيرازي

ديلان

تقول أمي إنه من الأفضل أن أكتب بهذه الطريقة الآن؛ فهي لن تزعج نفسها بتعليمي، على ما أعتقد، أو ربما لا تجد طاقة بداخلها لذلك. لست واثقًا أيهما السبب، أو إذا كان هناك اختلاف بين السببين.

اعتادت أمي الجلوس معي لمدة ساعة كل صباح، الساعة التي تنام فيها "مونا". نقضي هذا الوقت في تعلُّم الحساب والقراءة، ولكن بطريقة مختلفة عما اعتدناه في المدرسة. لم تستعمل أمي في الشرح أي رسوم بيانية أو جداول ضرب رياضية أو شيئًا من هذا القبيل. كانت تجعلني أقرأ كتبًا، ثم تجعلني أكتب عنها. وكانت تصحح لي بقلم حبر جاف أحمر. كانت تخبرني عن أخطائي الإملائية أو عندما أرتكب خطأً غبيًّا. بعد أن نجمع ونطرح، نتمرن على بعض العمليات الحسابية، ثم نكتفي من الرياضيات.. كانت أمي تقلق بشأن نفاد أقلام الحبر.

قالت أمي البارحة:

- ليس لديَّ المزيد لأعُلمك إياه يا "ديلان".

كانت قد انتهت لتوها من قراءة شيء كتبتُه عن رواية رومانسية تدور عن رجل وامرأة يتقابلان في قطار، وأظن أن الرواية لمست شيئًا بداخلها.

أكملت قائلة:

- لا نفع من الاستمرار هكذا.

أخبرتني أنه طالما أمضي ساعة كل يوم في الكتابة، فهي لن تزعجني بالواجبات الدراسية.

أحضَرت هذا الكتاب من منزل دخلناه في "نيبو". وجدناه في أحد الأدراج الصغيرة لمكتب صغير في غرفة معيشة صاحب ذلك المنزل. اعتدنا سرقة الأشياء المهمة للغاية فقط؛ مثل أعواد الكبريت، أو سم الفئران، أو الكتب. ولكنها أمسكت بهذه المفكرة وقلبتها بين يديها قليلًا قبل أن تضعها في حقيبتها.

قالت لي لاحقًا عندما عدنا إلى المنزل:

- خذها لتكتب فيها قصتك.

ابتسمت وأنا آخذ المفكرة منها وقلت:

- كتاب "نيبو" الأزرق.

كانت الصفحات فارغة ورحبة كأنها يوم جديد.

تساءلت أمي قائلة:

- ماذا تقصد؟

فقلت لها:

- مثل كتاب "كارمارثن" الأسود، المخطوطة الأقدم في تاريخ "ويلز" أو كتاب "هيرجيست" الأحمر، إحدى أهم مخطوطات العصور الوسطى المكتوبة باللغة الويلزية. كانوا يسمون كتبهم هكذا في الماضي.

قرأت عن هذه الكتب في كتاب عن تاريخ "ويلز".

سألتني أمي قائلة:

- كتب مهمة حكت عن تاريخنا. والآن أصبحت جزءًا من التاريخ، أليس كذلك؟

تمتع غلاف الكتاب بلون أزرق غامق؛ أقرب ما يكون إلى السواد. يصف "ديلان توماس" اللون أنه "أسود مثل سواد غلاف كتاب الإنجيل". لا يبدو أنه كتاب مهم، ولكن جميع الكتب ما هي إلا مجرد كلمات متعاقبة واحدة تلو الأخرى.

وضعت الكتاب على الرف العلوي بعد ذلك حتى لا تمسك به "مونا" إذا استيقظت. ذهبت لأصلح السطح المائل في سقف المنزل الذي يسرب مياهًا. لن تصدق كمية المياه التي يمكن أن تدخل من فتحة صغيرة كهذه. لا تحتاج إلى إصلاحها سوى قطعة صغيرة من الصلصال الذي ألعب به، وفوقه قطعة من المشمع مقاسها نحو اثنتي بوصة. لا يمكنني أن أستعمل سوى مسمار واحد لأنه لا يوجد الكثير منه، ولكنه سيفي بالغرض الآن.

بدأت "مونا" في البكاء، وذهبت أمي إلى إحضارها من مهدها.

هناك العديد من المناظر التي يمكن رؤيتها من فوق سطح المنزل المائل. يمكنك أن ترى بالأسفل أبراج القلعة بارزة مثل الأسنان المدببة ناحية "كارنارفون"، ثم ترى البحر و"أنجلسي" وراءه. لا أستطيع أن أتذكر أبدًا أنني ذهبت إلى "أنجلسي"، ولكن أمي تقول إنني زرتها عدة مرات حين كنت صبيًّا. تصف أمي "أنجلسي" بأنها جزيرة تحاوطها الشواطئ من كل جانب وبها العديد من الأماكن الرائعة للتمشي. ظللت أفكر في هذا الأمر البارحة في أثناء جلوسي على سطح المنزل المائل أتأمل المنظر. رأيت البحر والجزيرة التي تبدو من هنا أكبر من مجرد جزيرة. في المسافة من هنا إلى البحر تمتد الأشجار والحقول وأماكن لا أعرف عنها شيئًا. كان الجو باردًا البارحة لدرجة أن البخار الذي خرج من فمي كان مثل الثلج الذائب في إناء الطهي على النار. جلست فوق السطح المائل أفكر في كل هؤلاء الناس الذين عاشوا في الماضي. يا لهم من كائنات مسكينة! كانوا يذهبون إلى الشواطئ في سيارتهم، ويجلسون هناك طوال اليوم دون أن يفعلوا أي شيء. اعتادوا الوقوف في المياه واللعب بها قليلًا ثم الذهاب في نزهة. أحاول ألا أفكر في هؤلاء الناس كثيرًا.

سمعت أمي تخرج من الغرفة و"مونا" ملتصقة بصدرها، فنزلت السلم. كان هناك العديد من الأشياء التي يجب عليَّ أن أؤديها بها بدلًا من أن أضيع وقتي في التفكير في "أنجلسي" وما حدث في الماضي.

يقع منزلنا وسط مكان ميت. ما أعنيه هو أنه في مكان مجهول؛ فلا أحد يأتي إلى هنا. حسنًا، لا يأتي أحد إلى هنا سوى زوجين. عاش زوجان عجوزان في الماضي في منزل يدعى "سونينجدل"، وهو يبعد عن منزلنا بنحو سبع وثمانين خطوة. رحلا بعيدًا بعد "النهاية" بوقت قصير، كما فعل الجميع.

سألت أمي يومًا ما بعد أن تفقدت نوافذ منزلهما:

- ما هو "سونينجدل"؟

ردت بحدة قائلة:

- اسم غبي ولعين! إبق بعيدًا عن هذا المنزل يا "ديل". إنه ليس ملكنا.

أعتقد أنني أستطيع أن أتذكر السيد والسيدة "ثورب"، ولكنني لست متأكدًا من هذا.

كان السيد "ثورب" رجلًا طويلًا وشعره أبيض، ويرتدي نظارات كانت دائمًا ما تعكس بعض الضوء مما يجعلك لا ترى عينيه على نحو كامل. كانت السيدة "ثورب" ضئيلة ورفيعة وتحدق إليك وهي تتحدث. ظل منزل "سونينجدل" على الحال نفسه الذي تركوه عليه، عدا أنني استعملت حديقتهما للزراعة، وقطعت القليل من أشجارهما للحصول على خشب للتدفئة. أريد أن أدخل إلى المنزل ولكن أمي ترفض. إنها تتصرف بغرابة بعض الشيء لسبب ما فيما يتعلق بـ"سونينجدل" والسيد والسيدة "ثورب".

إن الحقيقة هي أنهما رحلا إلى الأبد. كان السيد والسيدة "ثورب" عجوزين، بشكل أجبرهما على التوقف عن العمل. كانا يؤديان أشياءَ لا معنى لها؛ مثل لعب الجولف، وزراعة الأشجار الصغيرة المسماة بـ"البونساي" في نافذة مطبخهما. لا بدَّ وأنهما رحلا بعيدًا للبحث عن عائلتهما، وقررا أن يمكثا معهم في مكان ما في إنجلترا على الأغلب.

كنت أُقطع الأغصان اليوم من حديقتهما لتجفيفها واستعمالها في إشعال النار. كانت أمي تقف تحت الشجرة و"مونا" ملتصقة بصدرها تحاول أن تتكلم. وقفت أمي تربط الأغصان في حزمة ثم تلقي بها من فوق مما يجعلها أسهل في نقلها لمنزلنا. كان الأسهل بالنسبة إلي أن أتسلق الأشجار وأصعد أعلى السطح وكل هذه الأشياء لأن أمي كانت تعرج بسبب ساقها المريضة، لكن يمكنها أن تصعد إلى منحدر سقف المنزل المائل معي حين تكون الشمس ساطعة أو السماء مرصعة بالنجوم.

تزينت الستائر بأزهار وردية صغيرة، وكان السرير مُرتبًا وعليه أغطية ناعمة. هناك أيضًا دولاب أبيض، وطاولات بيضاء صغيرة على جانبي السرير. وعلى الرغم من أن الكتب كانت كثيرة على الطاولات الصغيرة، فقد كانت مرصوصة في انتظام.

قالت أمي وهي تنظر إلى الأغصان:

- هيًّا يا "ديل". ستهطل الأمطار بعد قليل!

أقطع غصنًا آخر وأرميه قبل أن أقول:

- لديهما الكثير من الكتب بالداخل.

لم ترد أمي.

سحبتُ المنشار ببطء وقوة لأقطع غصنًا آخر وأكملت قائلًا:

- وأغطية على السرير. ولحاف على ما أظن، ومخدتان.

ردت أمي بحزم قائلة:

- لا تخصنا كل هذه الأشياء.

علمت حينها أنه عليَّ أن أصمت. إن أمي ليست بالمرأة التي تحب المجادلة؛ ولكنها تكتفي بالانطواء على نفسها مثلما نغلق الباب أو الكتاب. تظن أن دخول "سونينجدل" مختلف عن دخول البيوت الأخرى في "نيبو" لكنني لا أستطيع أن أفكر في سبب منطقي لذلك.

تمت أمي عامها السادس والثلاثين اليوم.

ما زلنا نملك التقويم القديم لعام 2018، العام الذي حلَّت فيه "النهاية". لا نثق بأننا في التاريخ الصحيح وهذا لأنه عندما مرضنا في بداية الأمر اختلط علينا كل شيء. غالبًا، استمر الأمر لثلاثة أيام أو أسبوعين. ولكن لا تشغل بالك؛ فقد استطعنا تخمين مكاننا.

لا تحب أمي الاحتفال، ولكنني أظن أنها مناسبة كبيرة. ستة وثلاثون عامًا من الحياة! وصاحبتها أربعة عشر عامًا منهم.

قلت لها وأنا أقطع غصنًا آخر:

- أمضيتِ معي تقريبًا نصف عمرك.

توقفت مكانها ونظرت إليَّ من بين أوراق الأشجار. كان شعرها مبللًا وكانت قد أحكمت غلق سحابة معطف المطر الخاص بها على "مونا". كل ما استطعت رؤيته من أختي هو قبعتها الزرقاء المصنوعة من الصوف الناعم.

أحيانًا أفكر أنه من المستحيل أن يكون شخص ما على القدر نفسه من الجمال والقبح معًا، مثل أمي.

أعلم أنه شيء بشع أن أقول هذا. لا تحب أمي أن أصف أحدًا بالقبح، حتى ولو كنت أتحدث عن شخصيات خيالية من القصص، لا أفهم لماذا. ما الضرر في أن أصف أحدًا بالقبيح ما دام لا يسمعني؟ ولكن أمي تقول إن الأشخاص الذين يرون الآخرين قبيحين من الخارج هم أنفسهم قبيحين من الداخل. لا بدَّ وأنني بشع من الداخل في بعض الأحيان؛ لأنني أظن أن أمي قبيحة للغاية.

لا أرى العديد من الأشخاص، وربما لهذا لا أستطيع أن أحكم من هو قبيح ومن هو جميل. ولكنني أتذكر كارثة "النهاية". كنت في السادسة من عمري على أي حال، وست سنوات هو عمر كافٍ للاحتفاظ بالذكريات. أعتقد أنني أتذكر أن السيدات من دون مثل تلك السيدات على أغلفة الكتب: شفاه وردية ممتلئة، وبشرة ناعمة بيضاء كاللبن، وشعر مهندم دون أن تقف منه شعرة واحدة. إن أمي ليست بهذا الوصف. وجهها رفيع وطويل وعيناها واسعتان، وفمها صغير وأنفها أطول مما يليق مع وجهها. جسدها طويل وقوي؛ ليست سمينة، وبشرتها جافة. اعتادت أن تقص شعرها وتصبغه باللون الأشقر قبل وقوع "النهاية". أصبح قص الشعر الآن مهمة صعبة. ينمو شعرها على نحو غير مستقيم

الآن حول رأسها، ويشبه في سمِّكه شعر الكلاب. كان شعرها أسود مثل ليل نوفمبر ويظهر به خطوط بيضاء هنا وهناك.

أتساءل ما إذا كنت أشبهها.

نظرت إليَّ لمدة طويلة وأنا فوق الأشجار. ظننت لوهلة أنها ستقول لي إن أدخل بيت السيد والسيدة "ثورب"، ولكنها التفتت بعيدًا في نهاية الأمر. غمغمت "مونا" لنفسها وهي بين أحضان أمي. أستطيع أن أسمع صوتها على الرغم من أنني لم أستطع رؤيتها. لم تكن غمغمتها سوى كلمات غير مفهومة. أصبحت "مونا" أكبر مما أن يحملها أحد الآن.

سأذهب إلى الصيد الليلة؛ فربما أفلح في اصطياد أرنب أو قطة برية لكي تأكل أمي اللحم في عيد ميلادها. وضعت أكثر من مصيدة بالفعل في حقل البطاطس. ستستمتع أمي بعيد ميلاد رائع هذا العام.

اصطدت أرنبًا البارحة. تلوى في المصيدة، فقتلته بسرعة بسكينة جيب وصفيت دماءه في زجاجة. تستعمله أمي في صنع صلصة تضعها على البطاطس لأنها تقوي من صحتنا. اضطرت أمي إلى أن تشربها أحيانًا عندما كانت ترضع "مونا"؛ على المرأة أن تكون قوية لتصنع الحليب. كانت أمي في بعض الأحيان تشرب نص كوب منه ثم تتقيؤه كله مرة أخرى. تقول إنه مهما كان الدم باردًا فهو بالنسبة إليها دافئ ويشعرها بالغثيان.

سلخت الأرنب وأخذته إلى المنزل وقلت:

- عيد ميلا سعيد يا أمي.

أحضرت هذا الصباح بطاقة معايدة بعيد ميلاد، ووضعتها على رف المدفأة. كان عليها صورة لسيارة سباق ومكتوب عليها "عيد ميلاد سعيد.. أتممت السادسة اليوم!"، لكن لا تشغل بالك بها. هذه هي البطاقة الوحيدة التي تبقت لنا. كنت أملك ثلاث عشرة بطاقة، ولكننا قررنا أن نحرق الباقي بعد وقوع "النهاية"؛ لأننا لم نعلم حينها أي شيء؛ ولا حتى أنه كان يجب علينا أن نخزن للشتاء ما يمكن أن نشعل به نارًا.

ابتسمت أمي وقالت:

- شكرًا يا حبي.

كانت "مونا" تلعب على الأرض بثعبان لعبة صنعته لها أمي من جورب. وضعت الأرنب في إناء على النار.

سألتني أمي:

- هل سلخته؟

فأجبتها:

- نعم، والفرو وضعته في الحظيرة ليجف.

هزت أمي رأسها.

لم أتذكر عيد ميلاد أمي في الماضي. أتذكر أعياد ميلادها الأخيرة بالطبع، لكن لا أتذكر تلك الأعياد قبل حدوث "النهاية". أتذكر أعياد ميلادي: الكعك والشموع، وأوراق تغليف الهدايا اللامعة. وأتذكر أسماء الأطفال الآخرين، على الرغم من أنني لا أتذكر أصواتهم أو كيف كانت حركتهم أو ضحكتهم.

"فريدي"

"ديوي"

"نيد"

"إيلا"

"جيمس"

"أوليفر"

"هاري"

"إنداف"

"بيتي"

"سوين"

"إلويز"

لا بدَّ وأن هناك المزيد، ولكنني لا أستطيع أن أتذكر. حاولت مرارًا وتكرارًا، ولكن كلما حاولت ضعفت ذاكرتي. إن الأمر يشبه محاولة تذكُّر حلم.

أكلنا الأرنب مع الجوز. كان الطعم رائعًا. تركنا نصف الوجبة للغد، فلن تصدق كمية اللحم التي يمكن أن تستخرجها من أرنب.

جلسنا الليلة فوق سقف المنزل المائل عندما كانت "مونا" في السرير لنستمتع بالليلة الصافية.

قالت أمي:

- تبدو مستمتعًا بالكتابة.

لستُ واثقًا مما إذا كانت جملتها مجرد معلومة أم سؤال.

فقلت لها:

- نعم، ولكنني أعتقد أنه لا بدَّ وأن يكتب أحدهم شيئًا ما عن "النهاية". ليس من المنطقي ألا أكتب غير ذلك، فأنا لا أعرف ما يكفي عنها.

هزت أمي رأسها وقالت:

- كنت صغيرًا حينها. حدث الأمر منذ زمن بعيد.

فقلت لها:

- يجب أن تكتبي يا أمي. شاركيني الكتابة واروِي ما حدث.

فردت عليَّ قائلة:

- كنت فاشلة في الكتابة في المدرسة.

فقلت لها:

- قرأتِ الآلاف من الكتب منذ ذلك الحين. ستكونين أفضل الآن.

اتفقنا، أنا وأمي، أن نتشارك في كتاب "نيبو" الأزرق. ستكتب عن الأيام الماضية وما حدث في "النهاية"، وسأكتب أنا عن الحاضر وعن حياتنا الآن. ثم اتفقنا على ألا يقرأ كلانا ما كتبه الآخر فقط من باب الاحتياط. احتياط من ماذا، لم أكن متأكدًا.

قالت أمي وهي تتنهد بحنية:

- إلا إذا حدث شيء لإحدانا.

لم أرد عليها لأنني لم أكن في حاجة إلى التفكير في ذلك؛ كنت أفهم الموقف. صمتنا فترة. قالت أمي:

- أريد أن أدخن سيجارة الآن.

تقول هذا أحيانًا في المساء. إن التدخين عادة من الماضي حيث يوقد الناس النار في شيء صغير ثم يضعونه في أفواههم ويبتلعون الدخان. لا أتذكر الكثير عنها، أتذكر فقط الرائحة. كانت الرائحة غنية وقوية في البداية ثم بعد ذلك تحولت إلى رائحة قديمة ومُرَّة. سألت أمي:

- أهذا ما ستختارينه كهدية عيد ميلاد؟ لو أن في إمكانك الحصول على أي شيء تريدينه؟

تأملت أمي جزيرة "أنجلسي" الممتدة أمامنا وفكرت في الأمر. بدت رائحة أمي مثل رائحة الأجواء بالخارج.

ردت بعد فترة:

- لا شيء. لن أختار أي شيء.

بدا ما تقوله شيئًا عاديًّا ولطيفًا، ولكنه كان كذبة. يريد كل شخص شيئًا ما. فسألتها:

- أي شيء يا أمي، حتى لو من الماضي.

تنهدت أمي وقالت:

- حسنًا، كنت لأطلب "باونتي".

فسألتها:

- ما هذا؟

فقالت لي:

- "باونتي"، نوع من الشوكولاتة يا "ديل".

أستطيع أن أتذكر الشوكولاتة بالطبع، ولكن ليس هذا النوع. أتذكر "ديري ميلك"، و"بينجوين"، و"ميلكي بار"، و"روكي". أكملت أمي حديثها قائلة:

- كانت محشوة بالكامل بقطع جوز الهند من الداخل وممزوجة معًا بالسكر. كنت دائمًا ما آكل طبقة الشوكولاتة الخارجية في البداية ثم آكل قلبها. هناك لونان من أغلفة الشوكولاتة: الأزرق للشوكولاتة بالحليب، والأحمر الغامق للشوكولاتة من دون حليب.

سألت أمي قائلًا:

- هل جوز الهند مثل الجوز؟

فأجابتني:

- لا، لا. إن جوز الهند مذاقه حلو، وتجده في كمية كبيرة من القطع الصغيرة الممزوجة معًا.

ندمت على سؤالي لأمي؛ لأن أمي تسكت عندما نذكر الماضي. كان صمتها ليس من النوع الذي يأتي حين تنشغل في عمل ما، ولكن ذلك الذي يأتي حين لا توجد كلمات تصف حالتك. قالت بعد فترة:

- أتعلم؟ لم أفكر في الأمر. لم يفكر أحد في الأمر. كنت تدخل فقط إلى محل ما إذا شعرت بأنك تريد أن تأكل الشوكولاتة أو المقرمشات. كل ما كان عليك فعله فقط هو أن تشتريها.

ثم هزت رأسها وقالت:

- حتى لو لم نكن جائعين.

فسألتها:

- ولكن لماذا؟

فردت أمي:

- لا أستطيع أن أتذكر.

صمتت قليلًا ثم قالت:

- لأنها كانت موجودة أمامنا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

لا أعلم من أين أبدأ، ولكن ربما لأنني لست معتادة الكتابة. لم أكتب شيئًا منذ سنوات، منذ أيام المدرسة. لكنني بدأت في التفكير في أن السماء مظلمة للغاية اليوم، مما جعلني أتساءل ما إذا كان...

حاولت أن أسجل أفكاري على الورق في السابق، ولكن لم ينفعني ذلك مطلقًا. حين أقرأ ما كتبته لنفسي، لا أشعر أنه الحقيقة. أشعر كما لو أن تلك الأحداث قد وقعت لشخص آخر في عالم لم يكن حقيقيًّا إطلاقًا. أخاف لو أنني لم أكتب الآن، فلن أكتب أبدًا. خاصة وقد مر العديد من فصول الشتاء منذ "النهاية".

حدث كل شيء بسرعة. "النهاية". ربما عليَّ أن أكون واضحة من البداية؛ إذا كنت تبحث عن إجابات، فأنا لا أعرف ما حدث، أو على الأقل لا أعرف الحقيقة الكاملة وراء ما حدث.

كان "ديلان" في المدرسة، وكنت أنا في العمل. كنت أعمل في صالون تصفيف شعر؛ أقص غالبًا شعر الأطفال والسيدات العجائز. اعتادت الناس ما دون تلك الفئتين العمريتين أن يذهبوا إلى صالونات تصفيف شعر في المدينة، وهي أكثر تكلفة حيث يمكنهم أن يحصلوا على أظافر لامعة وتشكيل لحواجبهم. كانت "جاينور" صاحبة الصالون تدعني أنتهي من عملي في الوقت المناسب لأذهب لإحضار "ديلان" من المدرسة. في بعض الأوقات، إذا كنا مشغولين، يأتي معي إلى الصالون ويجلس على أحد الكراسي الجلد بالقرب من الأحواض، ويتحدث إلى السيدات المسنات بطريقة تقليدية تناسب جيلهن. كان يعرف كيف يجعلهن يفتحن حقائبهن الصغيرة ليخرجن منها عملة معدنية ويعطينها له. احتفظت "جاينور" بمخزون من المقرمشات وقطع شوكولاتة "بينجوين" في الدولاب تحت درج النقود؛ خصيصًى من أجل "ديل".

كانت طيبة.

ثم في أحد الأيام، أُذيعت الأخبار على الراديو؛ فقد كنا دائمًا ما نستمع إليه في العمل: أن إحدى مدن أمريكا الكبيرة قد قُذفت بالقنابل. نظرتُ أنا و"جاينور" إلى الأعلى والتقت عينانا فوق رؤوس السيدات. أخبرت "جاينور" بعد أن انتهيت من الزبونة التي كانت معي بأنني لست على ما يرام فأعطتني إجازة باقي المساء. كانت تعلم أنني أكذب، ولكنها كانت تعلم أيضًا أنني لن أكذب إلا إذا كان عليَّ أن أفعل ذلك.

هذا ما فعلته.

ذهبت إلى الناحية الأخرى من المدينة، إلى معرض سيارات "ميي" وأجرت سيارة نقل "ترانزيت" لباقي اليوم. قدت السيارة إلى محل "تيسكو" الكبير في "بانجور" والذي امتلأ بالمشترين الذين تملكتهم حالة ذعر مثلي. اشتريت كل الأكل الجاف الذي استطعت تحميله في عربة التسوق. اشتريت حمصًا وفولًا، وشعيرًا سريع التحضير، وأكياسًا من مختلف أنواع الأرز. اشتريت أيضًا أكبر عدد ممكن من مسكنات الألم، ولكن ليس ما يكفي في حالة أردت الانتحار. ثم ذهبت إلى محل "بي آند كيو" - B&Q، واشتريت العديد من الأشياء التي لم أكن واثقة ما إذا كنت سأحتاج إليها أم لا:

مسامير، وبراغي، وبطاريات، واثنان من المصابيح التي تعمل بالبطارية، وألواح كبيرة من البلاستيك. كما اشتريت صوبتين صغيرتين وصناديق كاملة من أكياس البذور، وشجرتي تفاح (فقد كنا في فصل الربيع). إضافة إلى شوكة الحديقة، وجاروف، وسم فئران.

توقفت عند محل "سبار" في طريقي إلى المنزل لأشتري لـ"ديلان" اثنتين من شوكولاتة "فريدو".

هذا ما فعلته.

عدت إلى المنزل وأفرغت كل شيء في الجراج. دخلت إلى المنزل، وطبعت ورقة تلو الأخرى من المعلومات التي حصلت عليها من الإنترنت: "كيف تصنع مصيدة للأرانب؟"، و"كيف تزرع الخضراوات؟"، و"ما الأدوية العشبية القديمة التي يمكن زراعتها في الحديقة؟"، و"ما النباتات البرية الصالحة للأكل؟"، و"كيف تتصرف إذا كانت المياه التي تشربها غير منقاة؟".

عدت إلى المدينة وأعدت سيارة النقل إلى معرض السيارات، ثم ذهبت لأحضر "ديلان". ذهبت مرة أخرى إلى محل "سبار" لشراء المزيد من الشوكولاتة. لم يترك الناس أيًّا من المأكولات المُعلبة، ولكن ما زال هناك القليل من البيتزا التي قرب تاريخ صلاحيتها على الانتهاء، ولهذا اشتريتها لنأكلها مع الشاي.

انشغل "ديلان" في التهام شوكولاتة "فريدو" بنهم وهو يتجاذب أطراف الحديث مع سيدة كبيرة في السن، ويحكي لها عن مُعلمته في الصالون. قلت لـ"جاينور":

- يمكنك أن تأتي لتعيشي معنا.

ابتسمت ابتسامة متحفظة لم أرَها من قبل قطُّ وقالت:

- يا إلهي، "روينا"، لا تبالغي في ردة فعلك. سنكون على ما يرام!

كانت تمسح الأرض وتكنس خطًّا طويلًا من الشعر الرمادي على مشمع الأرضية.

قلت لها:

- بالطبع سنكون على ما يرام. ولكن إذا احتجتِ إلى ذلك يومًا، تعالي إلينا.

تتحنحت "جاينور" كما لو كانت تحاول أن تكتم الكلمات التي تهدد بالهروب من بين شفتيها. أكملت التنظيف، ثم احتسينا القهوة معًا، وشعرنا كما لو أن الصالون هو آمَن مكان في العالم.

لا أتذكر ما قالته بعد ذلك، ولكن أتذكر أنها قالت قبل أن أرحل مع "ديلان":

- لقد كنتِ لطيفة جدًّا معي.

لم أفهم لماذا قالت ما قالته لأنها دائمًا ما كانت من تهتم بي. كان اهتمامها نابع من مجرد وجودها معي في المكان نفسه، ومن مجرد بقائها على الحال نفسه كل يوم.

كان كل شيء طبيعيًّا ليوم أو يومين. ما زال "ديلان" يذهب إلى المدرسة وما زلت أقص شعر النساء. بدت كومة الأشياء في مخزني مجرد تذكرة لتساهلي الغبي في الشراء والذي تسبب لي في دَيْنٍ.

ثم في صباح ما وفي أثناء قيامي بصبغ شعر سيدة عجوز بلون باهت، انقطعت الكهرباء. بمنتهى البساطة. لم يرتعش الضوء ولكنه انقطع ولم يعد مجددًا. سكت الراديو، وغمغمت سيدة تجلس تحت الضوء قائلة:

- ماذا سيحدث الآن بحق الجحيم؟

انتظرنا لدقائق قليلة ولكنها لم تعد. كان عليَّ أن أشطف شعر السيدة بالماء البارد، والتي بدورها اشتكت لأنها شفيت لتوها من دور برد.

سألت "جاينور":

- هل من الممكن أن أذهب إلى المدرسة، تحسبًا لأن تكون انقطعت الكهرباء هناك أيضًا؟

فردت قائلة:

- ربما من الأفضل أن تذهبي إلى البيت لبقية اليوم. سأضطر لأن أغلق إذا لم تعد الكهرباء.

كان أطفال المدرسة يلعبون بالخارج. وقفت هناك فترة قليلة أشاهد "ديلان". كان يمثل أنه طائرة ووراءه صديقان له يفعلان الشيء نفسه. امتدت ذراعاه مثل رجل مصلوب.

ذهبنا إلى المنزل.

لم تعد الكهرباء قطُّ. انتظرتها في الأيام القليلة الأولى، ولكن بعد فترة توقفت عن الأمل في عودتها. سألني "ديلان" متى سيعود إلى المدرسة وأخبرته أنني لم أكن متأكدة.

أظن أنني قاسية الآن.

أفكر أحيانًا في هويتي قبل كل هذا. كنت "روينا" الجميلة، والمنظمة والتي تحاول دائمًا أن تبذل قصارى جهدها. كنت مشغولة بمستحضرات التجميل، ومكواة فرد الشعر، وطلاء الأظافر. كنت منتظمة على نظام غذائي منذ أن كنت بالثانية عشرة من عمري وها أنا الآن رفيعة ولي عضلات، ومتعبة، وقلقة، وعابسة. لم أضع مستحضرات تجميل منذ ثمانية أعوام، وبدأ شعري في الشيب. أنا في السادسة والثلاثين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ديلان

- يا له من يوم سيئ!

وضعت أمي المصيدة في ممر السيارات بجانب منزل السيد والسيدة "ثورب". ذهبت أولًا لأرى ما إذا تم اصطياد أي شيء. كان اليوم باهتًا بلونه المائل بين الرمادي والبني. كان لونًا لافتًا للنظر ويشبه لون البطانية المتسخة.. شعرت كما لو أن العالم كله يختنق بسبب هذا الهواء الساخن والثقيل الذي يعد بأمطار غزيرة. تحتاج الخضراوات إلى الأمطار، وأحتاج أنا إلى الشمس.

أسرعت ناحية ممر سيارات السيد والسيدة "ثورب" متوقعًا أن أرى المصيدة فارغة كالعادة. هذا ليس أفضل مكان لاصطياد أي شيء؛ فالمصيدة الكبيرة في أعلى الطريق أفضل بمراحل، ولكن على أي حال كان هناك شيء في المصيدة الصغيرة اليوم.

استطعت أن أرى أنه أرنب بري حين اقتربت منه، وذلك بسبب اللون البني في فروه، والذي لا يمتلكه الأرنب العادي. كان كبيرًا مثل القطة. لا بدَّ وأنه سمع خطواتي لأنه بدأ في القفز حول نفسه، وعلقت قدمه الخلفية في المصيدة.

لا أحب أن أقتل الأشياء.

تقول أمي إنها لا تحب القتل أيضًا، ولكننا مضطرون لأننا نحتاج إلى اللحم. ولكنها لا تكترث حقًّا للأمر؛ أكاد أجزم من النظرة على وجهها. إنها نظرة هادئة وقاسية مثل حجر "الأردواز"، كما لو أن الدفء هرب منها.

لا أحب الطريقة التي تدخل بها السكينة في جسم الحيوان، وما أشعر به في وقتها، والصوت الذي يخرج منه أيضًا على الرغم من أنني لست متأكدًا مما إذا كان الصوت حقيقيًّا أم أنه داخل رأسي. لا أعلم ما إذا كنت أتحمل سماع صوت السكين في اللحم أكثر من صوت صراخ حيوان. لا يصرخون في كل مرة، ولكنه شعور أسوأ حين لا يفعلون.

ينظرون جميعًا إليَّ حين يموتون.

ولهذا اتجهت إلى الحيوان وفي يدي السكين الخفيف، لكن الثقيل على قلبي. في هذه اللحظة، رأيت أنه لم يكن على ما يرام.

كان أرنبًا بريًّا، لكنه لم يمتلك مخالب أمامية، وعوضًا عنها، كان هناك شيء ما ملتصق به. كانت كتلة كبيرة، لها فم صغير وأسنان وأذنان ضئيلتان وعينان مثل الأموات، كما لو أن أحدهم سرق مقلتي عينيه. تقيأت.

كان الأمر مقززًا؛ هذا الأرنب البري صاحب الوجهين مثل حيوان ونصف حيوان في مخلوق واحد. كان كل ما هو جميل في الأرنب البري يقابله جزء بشع في الكائن الثاني. وفوق ذلك لديه وجه ميت على صدره.

كان الأرنب البري يبكي.

لا أعلم لماذا فعلت ما فعلت. لم أستطع أن أقتله، ربما لأنني لم أقدر على أكل شيء بشع مثله. كان يمكنني أن أتركه يذهب، لكنني لم أستطع أن أفعل حتى هذا. لا أعلم لماذا.

ذهبت إلى سقيفة السيد والسيدة "ثورب" التي تشبه رائحتها رائحة الطلاء والخشب. إنها على الحالة نفسها التي تركناها عليها منذ عدة سنوات فيما عدا نقص بعض الأدوات القديمة والمنجل التي استلفتها. أجبرتني أمي أن أستعمل اللفظ "سلف" على الرغم من أنني أعلم أننا لن نضطر إلى أن نعيدها لهما أبدًا.

كانت هناك لوحة قماش قديمة بها كل الألوان. أخذتها إلى المصيدة وانحنيت إلى مستوى الأرنب البري. فتح فمه كما لو أنه يصرخ ولكن لم يخرج منه صوت.

رميت الغطاء على الأرنب البري تاركًا رأسه وساقيه مكشوفة. لم يتحرك. استعملت عصا لأفتح أسنان المصيدة وسحبت ساقه برفق.

لم يهرب. رفعته وهو داخل الغطاء وحملته إلى السقيفة. لم يبدُ مختلفًا عن أي أرنب بري فيما عدا أنه كان يرتعش. لم تكن لتستطيع أن تعرف أن لديه وجهًا ثانيًا وأنت تحمله هكذا.

ذهبت لأجمع أشياء جميلة وناعمة مثل الحشائش والأوراق وأشياء مماثلة بعد أن تركته في السقيفة حتى أصنع له عشًا صغيرًا . كان يختبئ وراء أحد الخزانات. انتظرت قليلًا لأرى ما إذا كان سيخرج، ولكنه لم يفعل ذلك. فخرجت وأغلقت الباب ورائي.

سألتني أمي حين عدت إلى المنزل:

-هل حصلت على أي شيء؟

كانت تجمع نبات القراص - وهو عُشبة طبية لها فوائد كثيرة وتنتشر في أوروبا - من أجل الغداء وما زالت ترتدي قفازاتها. أجبتها:

- لم يكن طبيعيًّا.

توقفت أمي ونظرت إليَّ، فأكملتُ:

-كان لديه وجهان.

فسألتني:

- ماذا؟

فقلت لها:

- لم يكن لديه مخالب أمامية، ولكنَّ لديه وجهًا آخر بدلًا منها. وجه ميت.

نظرت أمي إلى الأسفل مرة أخرى، وتنهدت تنهيدة طويلة وضعيفة وسألتني:

- هل كان جريحًا؟

فقلت لها:

-لم يكن جرحًا غائرًا؛ فتركته يذهب.

هزت أمي رأسها. لا أعلم لماذا لم أخبر أمي بالحقيقة عن الأرنب البري في السقيفة. لا أظن أنها كانت لتتفهم الأمر.

قالت حينها:

- "ويلفا" اللعينة!

هذا ما قالته أيضًا حين رأت ثعلبًا صغيرًا دون أرجل خلفية، والسنجاب الذي بدا وكأنه قد فقد نصف جمجمته. لا أعلم ماذا تعني هذه الجملة، "ويلفا اللعينة"، لأنها ليست موجودة في أيٍّ من الكتب. لم يحِن الوقت المناسب قطُّ للسؤال عنها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ديلان

لم أكتب منذ فترة طويلة لأنه لم يكن لديَّ الكثير لأحكي عنه، ولكن خطر على بالي شيء الآن. قرأت كتابًا من قبل اسمه "كتاب الأحياء للشهادة العامة للتعليم الثانوي - GCSE" وعلى غلافه الأمامي صورة هيكل عظمي. يمكن أن تقرأ أشياء ولا تفهمها أحيانًا، أو تظن أنك تفهمها ولكن معناها يختلف عندما تكبر عمَّا كنت تظنه وأنت صغير. وهذا هو ما حدث اليوم.

قضينا الصباح في نصب المصائد في الحقل، ثم قالت أمي إنها ستأخذ قيلولة مع "مونا" وإنه يجب عليَّ أن أقرأ أو أكتب. ولهذا فتحت الكتاب على الوحدة الخامسة في صفحة رقم اثنين وستين تحت عنوان: "التكاثر".

قرأته من قبل وفهمت نصف الكلمات فقط. عرفت عن الحيوان المنوي وهو يسبح نحو البويضة ثم كيف ينغرس في بطانة الرحم، ثم يكبر الطفل الصغير لدرجة يجب عليه فيها أن يخرج. ولكنني لم أستنتج الوضع، لأنني أعلم أن الرجال وحدهم هم من يملكون حيوانات منوية وأنه يجب أن تمتلك حيوانًا منويًّا لتُكوِّن طفلًا، ولكنني لم أفكر من قبل في معنى هذا بالنسبة إلى وضع "مونا".

قرأته مرة أخرى لأتأكد من كوني فهمت الأمر فعلًا. وجدت أنني فهمته على نحو صحيح وهو منطقي أيضًا حين تفكر في كتب مثل "نهاية الموكب"، وقصة القديس "ديفيد" حيث اغتصب رجل سيئ يُدعى "سانت" امرأة اسمها "نون" لإنجاب "ديوي". تُنجب النساء الأطفال بعد أن يجتمعن بالرجال.

ولكن لم ترَ أمي رجلًا منذ سنوات. ولهذا لا أعلم من أين جاءت "مونا".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ديلان

ما زلت أفكر منذ المرة الأخيرة التي كتبت فيها؛ أفكر في الأشياء التي لا أعرفها.

لا أعلم لماذا تتحدث الكتب عن عالم مختلف، ولماذا بعض الحيوانات غريبة. لا أعلم لماذا الأشخاص في الكتب يتحدثون إلى بعضهم بعضًا طوال الوقت، ولديهم أحبة، ويخرجون في الوقت الذي أظل فيه أنا وأمي و"مونا" هنا ولا نرى سوى بعضنا بعضًا. لا أعلم كيف أسأل أمي ووجهها جامد مثل الصخر طوال الوقت وكلماتها محدودة وعلى فترات متباعدة.

بدأت في ترويض "بويلل".

أسميت الأرنب البري صاحب الوجهين "بويلل". جاءتني فكرة هذا الاسم من كتاب قديم؛ أحد كتب أمي المدرسية المدون عليها اسمها في المقدمة: "روينا ويليامز"، الصف الحادي عشر. إنه كتاب صعب اسمه "مابينوجيون" وتحدث به العديد من الأشياء غريبة الأطوار. لا تعجبني الشخصيات التي من المفترض أن أعجب بها في القصة. يثق الأبطال دائمًا بما يفعلونه، ولكنني لا أمانع ما يفعله بطل القصة "بويلل" على الإطلاق. يرتكب العديد من الأخطاء، ولكن على الرغم من ذلك، فهناك شخص قد كتب قصة عنه.

يا له من اسم مضحك أن تنطقه، "بويلل"، لأنه اسم من "ويلز" وله وقع غريب على الأذن حين تنطق حرفي اللام كما لو أن الهواء يفلت من جانبي لسانك. إنه حرف مختلف تمامًا، ومن الصعب أن تقوله لو لم تكن معتادًا عليه. أكاد أتذكره فقط من هذه الفترة التي كنت أتحدث فيها اللغة الويلزية في المدرسة ولكنني أخاف في بعض الأحيان أن أنساه؛ ولهذا أقوله مرارًا وتكرارًا حين أزيل الأعشاب الضارة أو أوقد النار. "لل"،"لل"،"لل".

أعتقد أن "بويلل" هو اسم جيد لأرنب بري. إن حرف "لل" مختلف ولكنه جميل، قصة غير متوقعة من الجمال كما هو حال هذا الأرنب البري.

لا تحب أمي الكتابة وتقول إن كل شيء تكتبه يبدو غريبًا وليس كما هو الحال في الكتب. وتقول إنني بارع في الكتابة لأنني أؤلف حوارًا لقصصي ؛ فهي ترى أنني أكتب كما نتحدث في حياتنا بالفعل.

لا أعلم ما إذا كان ما تقوله صحيحًا؛ فنحن لا نتحدث بهذه الكثرة. تستعمل أمي اللغة على نحو ضئيل كما لو أنها طعام. أتحدث إلى "مونا" أكثر مما أتحدث إلى أمي ولكنها لا تعرف كيف ترد. لكنني أحدثها على أي حال وترد هي عليَّ بلغة الأطفال. لا أعلم كيف لأمي أن تتحمل الصمت هكذا.

من الصعب أن تتحدث مدة طويلة دون وجود أي شخص ليتحدث إليك. أملك الكتب على الأقل لتمدني بالكلمات. أتساءل ما إذا كنت أتحدث مثلما كنت أتحدث قبل حدوث "النهاية"؛ لأنه أحيانًا أقول كلمة أو جملة فتنتظر إليَّ أمي نظرة حازمة. ولكن كيف لي أن أعرف ما عليَّ قوله؟

قالت أمي:

- يكتب الناس على نحو مختلف عن الطريقة التي يتحدثون بها، ولهذا لا أحد يحب الكتابة.

أردت أن أقول أي ناس؟ وأردت أن أسأل هل تقصدين قبل حدوث "النهاية" يا أمي؟ ولكنني لم أفعل؛ لأنني في بعض الأوقات ألمحها وهي تنظر إلى ذلك الكتاب وإلى هذا الجزء من الرف، حيث نحتفظ بكتاب "نيبو" الأزرق. أعتقد أن لديها الكثير لتقوله، والعديد من الأشياء التي تحتاج إلى أن تحكي عنها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

أحتاج إلى أن أكتب عن "جاينور".

التصقت بها رائحة صالون تصفيف الشعر مثل الشبح. التصقت بها رائحة "البيروكسيد"، وشامبو اللوز، وتلك الرائحة الأخرى: رائحة...

ارتبطت ذكرى "جاينور" في ذهني برائحة صالون الشعر الذي نعمل به، ورائحة "البيروكسيد" في صبغة الشعر، وشامبو اللوز، ورائحة الشعر المبلل الملقى على مشمع الأرضية. كانت تلك الروائح تتبعها دائمًا وكأنها شبح يلاحقها أينما ذهبت. لم أحب يومًا رائحة منزلنا وأنا فتاة، ولكن كانت رائحة صالون "المقص الفضي" – "سيلفر سيزورس" دافئة ومريحة مثلما كانت عليه رائحة منزل ما.

هناك الكثير لأحكيه عن "جاينور"، وعما كانت تعنيه للأشخاص الآخرين.

كانت تعرف بطريقة ما متى تتجاذب أطراف الحديث ومتى تسكت عندما تجلس إحدى سيداتها على الكرسي. يحتاج الناس في بعض الأحيان إلى أن يسمعوا كلامًا لا معنى له ولا ينتهي عند سعر الجزر، وصوت جلبة عربة نقل القمامة المزعج، وعن جميع المحلات التي بدأت في الإغلاق في الشارع الرئيس في مدينة "كارنارفون"، وكم كان محزنًا أن نرى هذا العدد من نوافذ المحلات فارغة. في بعض الأحيان، كانت تترك الأجواء خالية وهادئة حتى تستطيع السيدة التي تجلس أمامها على كرسي تصفيف الشعر أن تملأ الفراغ بكلماتها الثقيلة.

"ماتت أختي اليوم".

أو،

"لم أتحدث إلى أي شخص طوال الأسبوعين الماضيين".

وفي بعض الأحيان، تهرب دموع صامتة – تشبه الماضي - وتعرف طريقها إلى الوجوه المجعدة.

كانت تبدأ وتنتهي من كل قصَّة شعر بالطريقة نفسها: تضع يديها على أكتافهن وتنظر إلى عيونهن في المرآة. أظهرت "جاينور" الطيبة التي طالما تمنيت أن يُظهرها الطبيب، ولكن نادرًا ما كان يحدث ذلك.

قلت لها ذات مرة:

- أنتِ طيبة للغاية؛ فأنتِ تساعدين الجميع.

ابتسمت "جاينور" متفاجئة. أعتقد أن طبعها كان الطيبة؛ فقد كانت سنوات خبرتها هي الاتصال البشري الوحيد الذي يحصلن عليه السيدات المسنات في عالم اعتبرهن غير مرئيات. اختارت "جاينور" طوال سنوات عملها أن تكون حلقة الوصل الوحيدة بين السيدات المسنات والعالم الخارجي. كانت تعطيهن كل الاهتمام في وقت اعتبرهن الكثير فيه غير مرئيات.

سألني "ديلان" منذ عدة سنوات قليلة:

- هل كانت "جاينور" جدتي؟

احمر وجهي وأجبته بتعجرف:

- بالطبع لا!

فسألني:

- من كانوا أجدادي إذًا؟ لا أستطيع أن أتذكرهم.

ابتلعت ريقي مرارًا، ومرارًا، ومرارًا على الرغم من أنني لم أكن أبكي كثيرًا في هذه المرحلة؛ وذلك لأنني بدأت أصبح قاسية. قلت له:

- لن تمانع "جاينور" إذا اعتبرتها جدتك، يمكنك أن تفعل هذا إذا أردت.

لا يمكن للدم أن يصبح ماءً، ولكن تخلى الكثيرون عنَّا.

إنها تمطر اليوم؛ فتتساقط علينا قطرات ساخنة وغزيرة كأنها تبصق بكراهية على منزلنا. ظننت أنه من الأفضل أن أكتب عن المياه، لأن هناك الكثير من الأحداث منذ أن حدثت "النهاية".

لم تعد الأمطار كما كانت؛ فهي لا تشبه تلك التي هطلت على رأسي عند أبواب مدرسة "ديلان" وأنا أنتظره. كما لا تشبه تلك الأمطار المتساقطة ببطء مثل حبات رذاذ رمادي يجعلك ترغب في أن تحتضن نفسك على الأريكة وتشاهد فيلمًا تجعلك لا ترغب سوى في أن تستلقي على الأريكة وتغوص بين كومة من الأغطية وتشاهد فيلمًا ما. احتد غضب المطر الآن. لم يكن المطر وحده من يشعر بالغضب، ولكن المناخ بأكمله.

هناك شيء آخر أشعر به منذ النهاية. يمكنني رؤية المشاعر الإنسانية المجردة في كل مكان دون احتياج لأن أراها في أشخاص آخرين، أو أن يتناقلها راديو، أو تطبيق "سناب شات"، أو "فيسبوك". يرأف حقل البطاطس الطيب بحال ثماره في يوم ربيعي دافئ. شعر المنزل بالملل لدرجة أنه سمح بثقب آخر أن يتسلل إلى السطح. أما عن الطقس، فكما اعتدناه، فهو مثل المُحب المتقلب المزاج. وعلى الرغم من أنه لم يكن أهلًا للثقة، فلم يتمكن أحد من هجر ذلك الرجل الذي يفقد أعصابه دون سبب.

أتخيل الطقس دائمًا بهذه الصورة. أتخيل اسمه يبدأ بحرف "الطاء" الكبير الشبيه للشيطان المنتظر على الباب. إن الجو قاسٍ في الشتاء؛ ويحبسنا فيه الثلج الأبيض الناعم العابس والمتجمد داخل المنزل. أمَّا الصيف فهو أسوأ بكثير. فهذا هو الوقت الذي تقهرنا فيه الحرارة وتقتل النباتات وتبتلع كل المياه بقسوتها الانتقامية.

إن أسوأ ما في الأمر هو عدم معرفتي ما إذا كان الجو بالفعل أسوأ، أم أنني لاحظت ذلك فقط لأنني أعتمد عليه الآن لزرع طعامنا.

كانت الأمطار عبارة عن عواصف ساخنة، وعنيفة، وقبيحة. كانت سكاكين عواصف البرق تضربنا في بعض الأحيان دون إنذار، وتهز الأرض كما لو أنها تتأكد من أنها ميتة. كان صوت الرعد يشبه انفجار شيء هائل. صنعت الأمطار أنهارًا جديدة. نجلس أنا و"ديل" مرتديين معاطف الأمطار على سقف المنزل المائل ونسمي الأنهار: نهر "فيرن"، نهر "التراب"، نهر "سونينجدل".

اختلف شعور الخوف منذ وقوع "النهاية". إنه أكثر حنية لأنه لا يتركك أبدًا ولكنه ليس بالقوة نفسها كما كان في السابق. اعتدت في السابق أن أقلق بشأن دفع رخصة السيارة، وضيق بنطالي الجينز، وأن أبدو أكبر من سني. أما الآن، فأنا أقلق بشأن محصول البطاطس، واحتمالية أن يأتي أحدهم إلى هنا وربما يقتلنا جميعًا. أقلق بشأن العدم الذي يحيط بنا في كل مكان. اختفت جميع مظاهر الحياة؛ لا ضوء، أو دخان. نتمشى أنا و"ديلان" في بعض الأحيان لخمس عشرة دقيقة، ونمر على الحقول لنصل إلى بحيرة "كوم دولين" لنستحم ونغتسل. أشعر هناك أكثر من أي مكان آخر أننا الوحيدون الناجون في هذا العالم، ونحاول أن نصمد بين الجبال وحدنا.

قال "ديلان" الليلة الماضية وأول عاصفة في الربيع تقترب من منزلنا:

- إن هذا يشبه فيضان نوح.

يعرف ابني إنجيله وهو الذي لم تطأ قدماه يومًا محرابًا أو كنيسة؛ ذلك الابن الذي حملت فيه نتيجة علاقة غرامية مليئة بالخطايا غير المغفورة. يقول إنه يحب قصص الإنجيل، خصوصًا تلك التي تحكي عن نوح حيث يتخلص الرب من كل شخص وكل شيء حتى يبدأ من جديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ديلان

لا أعتقد أن أمي تحب قراءتي للإنجيل، ولكنها لا تقول شيئًا.

لم نملك سوى نسخة واحدة من العهد الجديد، ولكنني وجدت فيما بعد نسخة صغيرة من العهد الجديد في حقيبة يد مُعلقة على كرسي غرفة طعام لشخص ما في "نيبو". ظننت أنه أمر غريب؛ أن يحمله شخص معه مصاحبًا لمحفظته ونظاراته الشمسية وهاتفه. يناسب حجمه جيب بنطالي الجينز الخلفي. كان الكتاب قديمًا جدًّا.

كتب أحدهم داخل الكتاب إهداءً:

"إلى "تريفور إيفانز"، صاحب أفضل تصميم بطاقة معايدة للكريسماس. من القس، "لمبرينماير". كريسماس عام 1925".

كان الخط مرتبًا والحروف لها شكل دائري.

أحببت القصة.

هناك قصص لا تبدو منطقية على الإطلاق بالنسبة إليَّ، وهي عن سنوات ما قبل حدوث كارثة "النهاية": قصص عن الألعاب، والهواتف، والسيارات، وأجهزة الحاسوب. أفهم القصص، ولكنها لا تبدو معقولة لي مقارنة بقراءتي لها مثلًا العالم على حالته في الماضي. يكتبون عن هذه الأشياء كما لو أنها طبيعية وعادية. وعلى الرغم من أن تلك الأحداث المذكورة في الإنجيل وقعت منذ زمن بعيد جدًّا جدًّا فهي تلائم عالمنا الآن. أشعر وكأن المسيح يتحدث عن أمي وعني، وعنا فقط عندما يقول للرب قبل أن يُصلب:

"مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ. لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لأَنَّهُمْ لَكَ". (يوحنا 17:9)

لا مغزى من الصلاة من أجل العالم، ولكن ربما نملك أنا وأمي فرصة لاستجابة صلواتنا.

يا له من شيء مضحك!

أخبرونا عن المسيح والإنجيل وبعض قصصه عندما كنت في المدرسة، وكان علينا أن نرتل الأناشيد في الطابور ونصلي في نهاية اليوم ونتحدث اللغة الويلزية. رسموه في مخيلتنا وقد ابتلت ملابسه. بدا مثيرًا للشفقة بعض الشيء. تصورناه كما لو أنه من نوعية الرجال أصحاب العيون الحزينة دائمًا. ولكن ذات مرة، عندما طلبوا منا أن نرسم صورة للمسيح، رسمه طالب في هيئة رجل كبير له بشرة سوداء وعلى وجهه ابتسامة عريضة وطبيعية، ويرتدي ملابس ملونة. علَّق الجميع: "هذا ليس ما كان المسيح يبدو عليه!".

ولكنه ظل في مخيلتي على هذا الشكل.

لقبوه في المدرسة باسمه الويلزي "إيسو جريست". وعلى الرغم من أنني قرأت الإنجيل باللغة الإنجليزية، أفكر به دائمًا على أنه "إيسو" وليس "يسوع". "يسوع" يبدو اسم شخص حسن الخلق

للغاية، ولكن اسم "إيسو" يشير إلى الرجولة.

أفكر في القصص وأنا أعمل، وأفكر في كيف كان "إيسو" طيبًا، ولطيفًا، ومحبوبًا من الجميع، وكيف أنه لا يزال تائهًا في بعض الأحيان. فكرت في كيف أن كل الأناجيل تحكي القصة نفسها، ولكن يحكيها شخص مختلف في كل مرة بسبب أن القصص تختلف بعض الشيء وفقًا لمن تكون أنت. يجعلني هذا في بعض الأحيان أفكر في هذا الكتاب الصغير، كتاب "نيبو" الأزرق، لأننا نحكي الحقائق في الأغلب بطرائق مختلفة.

أخذت عهدًا على نفسي ألا أقرأ ما تكتب أمي.

إن الطريقة التي شك بها "إيسو" بالرب في النهاية هي أحد أشيائي المفضلة عنه. قال عندما كان على الصليب:

- "وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: "إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟" أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟". (متى 27:46)

وهذا لأن الشك وخسارة الإيمان يعني أن "إيسو" كان رجلًا طبيعيًّا حتى لو قام بمعجزات وكل ذلك.

أحكي لـ"مونا" في بعض الأحيان بعض القصص من الإنجيل. عادة ما تأتي معي عندما أذهب إلى الصوبة لأجمع عشبة القراص أو أحصد البطاطس. كنت أربطها إلى صدري بالحمالة حين كانت صغيرة، لكنني أربطها الآن بطريقة مختلفة وأحملها على ظهري. أحب الإحساس بوجودها؛ فهي تدفئ عمودي الفقري وأنا أعمل. أتحدث إليها دائمًا حتى وهي لم تتعلم الحديث بالكامل بعد.

كنت أتمشى باتجاه "كوم دولين" معها البارحة؛ لأن الجو كان مشمسًا وظننت أنه يجب علينا أن نغتسل. كانت أمي تغسل الملابس في مجرى النهر، ولهذا وضعت "مونا" على ظهري وانطلقنا.

في أثناء عبورنا حقل البطاطس، قالت "مونا":

- غنِّ "ديل".

فغنيت لها. غنيت لها أغاني حمقاء من تأليفي، ثم أغنية عن سفينة نوح، ثم أغنية ويلزية اسمها "ماي إيسون ففريند إي مي" وتعني "إيسو هو صديقي" (ولكنني لم أستطع تذكر كلمات أغانٍ أكثر من ذلك). نامت على ظهري، وداعب نفسها رقبتي. كان يمكنني الشعور بها حتى وأنا لا أراها.

جلس ثلاثتنا في الحديقة لنتناول عشاءنا بعد أن اغتسلنا، وجففنا أنفسنا وتمشينا إلى المنزل. كان كل شيء جميلًا، ومثاليًا، ومُشجعًا بطريقة ما. كانت ملابسنا زاهية ونظيفة على حبل الغسيل. ارتدت أمي "شورت" وانتشر النمش على ساقيها. كانت "مونا" تتحدث إلى نفسها وهي تزيح أوراق الشجر عن الجحر الصغير الذي صنعته لها تحت السياج:

- أميييي" و"ديييييييييييل"، و"مووووووووووووونا"، و"أمييييي".

سألت أمي فجأة:

- أتتذكر البيتزا؟

كانت ممددة على العشب، وضفيرتها الطويلة تشبه الثعبان العشب أو الأفعى.

فقلت لها:

- نعم، ولكن ليس جيدًا.

قامت من تمددها وقالت:

- أتعلم؟ في المدن، حتى في تلك القريبة، مثل "بانجور"، يمكنك أن تتصل بأحدهم ليأتي إلى منزلك ومعه "بيتزا".

سألتها:

- ماذا؟

ردت:

- تخبرهم بما تحبه من الإضافات، على سبيل المثال، "بيبروني"، ولحم خنزير، ثم يعدونها ويضعونها في علبة ويأتون بها إلى منزلك.

فسألتها:

- ولكن لماذا قد يفعل أي شخص هذا؟ ألم يمتلكوا موقدًا؟

ردت:

- بلى، كان كل شخص يمتلك موقدًا. ولكن في بعض الأحيان، لم يكترث الأشخاص بأن يطبخوا.

قال لها:

- هذا غريب بالنسبة إليَّ؛ لأن الطبخ شيء رائع. أن أصنع شيئًا ثم آكله.

نتحدث في مواضيع كهذه ونحن جالسون في الحديقة أو على سقف المنزل المائل في الليل، أو أمام النار حين يتساقط الثلج بالخارج. نحاول ألا ينتابنا القلق من أن تتجمد الخضراوات في الأرض وتموت. نتحدث عما كان عليه الأمر قبل حدوث "النهاية"، وعن أشياء مثل الإنترنت، والذي كان هائلًا، ومليئًا بالمعلومات، والصور، والكلمات، ولكن لم يعلم أحد مصدره بالضبط. أو نتحدث عن الحروب حين يتجادل الأشخاص المهمين، ويموت الأناس الأقل أهمية ويقتلون بعضهم بعضًا. تقول أمي إن "الأمر كان منطقيًّا قبل النهاية"، ولكن أعتقد أن ما تعنيه حقًّا هو أن الأمر لا يبدو عقلانيًّا بعد الآن، وربما التفسيران مختلفان بعض الشيء.

قلت:

- تخيلي لو بإمكاننا أن نطلب "بيتزا" الآن. ويحضرها أحدهم هنا في علبة.

لا أستطيع تذكر طعم "البيتزا"، ولكن أعجبني وقع الكلمة في أذني. شعرت أنها مشمسة ودافئة.

هزت أمي رأسها وقالت:

- لن أفعل ذلك. لن أعود إلى العيش بتلك الطريقة.

ابتسمت لي ابتسامة كبيرة جعلتها تبدو أصغر كثيرًا من أن تكون أمي. وسألتني:

- نحن على ما يرام، أليس كذلك؟

فأومأت برأسي قائلًا:

- بلى. نحن بخير.

نظرنا - نحن الاثنين - إلى "مونا" التي كانت تغني أغنية سخيفة ألفتها لها:

- سفييينة نوح، سفييينة نوح، إنها تمطر، إنها تمطر.

ثم ألقت بأوراق الشجر كأنها مطر يتساقط على رأسها. ضحكت أمي.

قالت أمي:

- نحن بخير. ولكن سأضحى بهذا المنزل وكل شيء بداخله من أجل السجق.

ابتسمنا - نحن الاثنين - ثم تمددنا على العشب حتى شقت النجوم الأولى السماء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

لم أتحدث عن الكتب.

كان هذا في الأيام الأولى بعد أن انقطعت الكهرباء وقبل أن تغمرنا السحابة. كانت "النهاية" عبارة عن مراحل وليست لحظة واحدة، وحدث هذا في بداية "النهاية".

قررت أن أنزل إلى القرية لأرى ما يحدث. كانت الكهرباء مقطوعة لمدة أسبوع تقريبًا، ولم نقم أنا و"ديلان" في هذه الفترة بالكثير. اعتبرناها عطلة مدرسية. اكتفينا بالاستجمام في المنزل، وبناء الصوبة الصغيرة الأولى، وتبادلنا بعض الأحاديث مع السيد والسيدة "ثورب" في المنزل المجاور.

كنا في الحديقة مع السيد "ثورب" حين قال:

- أتعلمين، يمكنك أن تذهبي إلى القرية. يمكن لـ"سوزان" وأنا أن نعتني بـ"ديلان" أو.. إذا احتجتِ إلى أن تذهبي لاصطحاب شخص ما وتأتي به إلى هنا.

حدقت إليه، ولم أفهم بالضبط ما قاله.

فسأل السيد "ثورب":

- العائلة؟ ربما..

هززت رأسي بحزم قائلة:

- لا عائلة.

فسأل السيد "ثورب" بهدوء وهو يفكر ربما في أبنائه شخصيًّا:

- وماذا عن والدك ووالدتك؟

(هناك بعض الأشياء التي يجب أن تُسجل في كتاب "نيبو" الأزرق، وبعض الأشياء التي لا يجب أن تُذكر).

فقلت له:

- لا أحد، أنا لست ابنة أحد.

أومأ السيد "ثورب" برأسه وقال:

- حسنًا إذًا، اذهبي إلى القرية فقط لرؤية ما يحدث.

لم أكن لأفكر في أن أفعل شيئًا مثل هذا لو كنا بأسبوع قبل الآن؛ وهو أن أترك ابني الصغير مع شخصين عجوزين، غريبين بالنسبة إليَّ.

قال لي:

- سنلعب في الحديقة ويمكنني أن أريه كوخ التخزين الخاص بالحديقة. ولو سمحتِ إذا وجدتِ أي طعام عليه تخفيضات هناك فلتشتريه لنا وسنحاسبك بالطبع.

لكن، كان زجاج محل "سبار" محطمًا تمامًا، والأرفف فارغة. كان الأمر نفسه في محلات "ليون"، و"إنديان"، و"سيزورس". لم يكن هناك سيارات على الطريق، ولم أرَ شخصًا واحدًا وأنا أقود داخل القرية. كان الأمر كما لو أن كل شيء قد انتهى وترك خلفه صمتًا مزعجًا وبشعًا في أرجاء الشوارع.

وطأت قدمي الباب الأمامي لمحلات "سيزورس" وتفتت الزجاج مثل السكر تحتها. اختفى درج النقود بالطبع، ولكن تكبد أحدهم عناء تحطيم الزجاج وتمزيق حشو الكراسي، وقلب زجاجات الشامبو والبلسم وتلطيخ الحوائط، وتكسير الأحواض. أفرغ أحدهم صندوق المهملات أيضًا، وترك شعيرات رمادية وبيضاء على السحب الصغيرة المرسومة على علب شوفان "لينو".

ناديت بصوت عالٍ وسط صمت القرية:

- "جاينور"؟

لم أسمع ردًّا. كان الباب المؤدي إلى شقتها مغلقًا، ولم أسمع صوت خطوات أقدام أيضًا. لقد رحلت.

كان هناك رجل يقف عند باب المحل عندما التفتت لأرحل. كان يرتدي غطاء رأس السترة الأسود وبيديه عصا الجولف. تفاجأت لدرجة منعتني من الصراخ.

خلع غطاء رأسه وسألني:

- "روينا"؟ أهذا أنتِ؟

تنهدت وشعرت وكأن قلبي قد قفز إلى حنجرتي.

فقلت له:

- بحق الجحيم يا "ريس"! لقد كدت تتسبب لي في أزمة قلبية.

نحى "ريس" عصا الجولف جانبًا وقال:

- آسف يا "رو". ظننت أنه أنتِ؛ كنت أراقب الوضع من نافذة العلية الخاصة بي عندما رأيتكِ.

أخذتُ أنا و"ريس" حصص العلوم والرياضيات نفسها في المدرسة. كان رجلًا قويًّا مثل الوحش في ملعب الرجبي، لكنه كان كالقطة الصغيرة في ليلة السبت. كان في دائرة معارفي منذ البداية، من ضمن الرفقة لكنني لم أحظَ بمحادثة كاملة معه إطلاقًا. تعرف أشخاصًا في بعض الأحيان دون أن تحتاج لتعرف أي شيء عنهم؛ هم فقط موجودون هكذا مثل الجبل.

سألت:

- أين الجميع؟ أين "جاينور"؟

هز رأسه، واستطعت أن أرى الولد الصغير بداخله تائهًا ومرتبكًا.

فقال لي:

- رحلوا. رحل الجميع بصورة أو بأخرى. ذهبوا إلى المدينة ليبحثوا عن الطعام، أو ليجدوا أصدقاءهم أو عائلتهم أو أيًّا كان. كنت سأرحل أيضًا، ولكنني لاحظت أنهم لن يعودوا أبدًا تقريبًا.

مرر أصابعه في شعره الدهني. كان دائمًا وسيمًا ومغرورًا قبل أن يحدث كل هذا. أكمل حديثه قائلًا:

- ولكن هناك عصابات تدمر كل شيء لتبحث عن النقود والطعام. لقد أفرغوا الصيدلية من كل شيء.

فسألت:

- أكل هذا فقط بسبب قطع الكهرباء؟

حدق "ريس" إليَّ، وقد بدا عليه أنه يحاول أن يجد الكلمات الصحيحة لشرح القصة الكاملة لها. قال:

- سمعت على الراديو أنه كانت هناك قنبلة في لندن، ولم يتحدثوا عن هذا الموضوع بعد ذلك. ولكن يقولون إنه انفجرت قنبلة أخرى أقرب لنا في "مانشستر" أو "ليفربول"، لست متأكدًا.

فسألت:

- قنابل؟

فقال لي:

- نووية يا "رو". لقد قُضي علينا.

تخيلت سحابة على شكل عش الغراب في رأسي وسألت:

- حرب نووية؟

هز "ريس" رأسه وقال:

- لا أعلم حتى من فعلها، أو لماذا. لقد قمنا بالعديد من الأشياء السيئة للكثير من الأشخاص، أليس كذلك؟ أقصد بريطانيا.

سألته وقد كسى صوتي القلق:

- ما الذي يجب علينا فعله؟ لديَّ صبي صغير!

فقال لي:

- اهربي. اخرجي من هنا. تعيشين وسط مكان مهجور، أليس كذلك؟

فأومأت رأسي بالإيجاب وأكمل هو:

- عودي إلى هناك وابقي هناك. أغلقي الباب.

فقلت له:

- ولكن "جاينور"..

فقال لي وقد بدا عليه الغضب:

- بحق المسيح يا "رو"! لقد رحلت! هذا ما في الأمر! هذه هي النهاية!

هززت رأسي ببطء على الرغم من أنني لم أتفهم الأمر أو أتقبله. لا بدَّ وأن أحدهم سيحل هذا الموقف، الحكومة أو الجيش أو..

مررت بجانبه دون أي ابتسامة أو حضن وقلت له:

- شكرًا يا "ريس".

لم أقل له وداعًا أو أتمنى له الخير. ولكنني سرقت كلمته - "النهاية". كانت كلمة درامية للغاية لأن تخرج من فم فتى المدرسة الضخم الذي لا يبالي بشيء، ولكنها أعجبتني. "النهاية"، ولكننا ما زلنا هنا.

أعتقد أن هذا هو الوقت الذي أصبحت فيه صلبة.

كان عليَّ في الأغلب أن أقود السيارة مباشرة إلى المنزل، ولكن وأنا في طريقي إلى المنزل توقفت أمام المكتبة. ما زلت لا أعلم لم فعلت ذلك. كانت النوافذ على الأقل ما زالت في مكانها، ولكن انخلعت الأبواب من مفاصلها.

خطوت داخل المكتبة.

أخذ أحدهم كتب العناية بالحدائق، وكتب التنمية الذاتية أيضًا، ولسبب ما السير الذاتية.

أخذت ما يمكنني أخذه؛ ما يمكن لذراعي حمله من الكتب. أخذت القليل من كتب السفر، وبعض الكلاسيكيات، وكتب اللغة الويلزية.

وقفت لثوانٍ قليلة قبل أن آخذ هذه الكتب، وقفت في مواجهة ذلك الرف كما لو كنت وجهًا لوجه مع عدو قديم.

لكنني أخذتها؛ أخذت أكبر قدر من الكتب يمكنني حمله في المقعد الخلفي لسيارتي. قدت إلى المنزل تصاحبني رائحة الورق وتأخذ تفكيري بعيدًا عن توتري. شعرت بثقل الكلمات كما لو أن العائلة هي التي تجلس في المقعد الخلفي.

هز السيد والسيدة "ثورب" رأسيهما عندما أخبرتهما بما قاله "ريس". كانت ردة فعلهما وكأنهما توقعا ما حدث منذ البداية. التفتا إلى بعضهما بعضًا وابتسما في حزن. وضع السيد "ثورب" يده الثقيلة على كتف زوجته وقال في صمت:

- حسنًا، هكذا هو الأمر الآن إذًا.

كان لديهما ولدان يعيشان في مكان ما في جنوب إنجلترا؛ أحدهما في لندن على ما أظن. اعتدت أن أراهما قبل حدوث "النهاية" حين كانا يزوران والديهما في الصيف. كنت أتجسس عليهما بمنتهى التكبر، وأنتقد لهجتهما الفاخرة في الحديث، وملابس أولادهما القادمة من محلات "بودين"، وسيارات الدفع الرباعية اللامعة والقبيحة الخاصة بهما.

لم يرَ السيد والسيدة "ثورب" في هذه الثانية وهو يضع يده على كتف زوجته الملابس باهظة الثمن والسيارات الاستعراضية. رأيا أطفالهما، ورائحة الحليب تفوح منهما، وبشرتهما الناعمة. رأيا الخطوات الأولى، والدراجات الثلاثية، والضحك. تفجر شيء بشع، صامت وساكن بينهما.

أتذكر تلك الثواني من اللا شيء ما عدا الأنفاس بين السيد والسيدة "ثورب"، وتبادل تلك اللمسة والسكون. لم يكن هناك شيء أكثر جمالًا من خلفية المشهد: حديقتي، والأشجار، ومدينة "كارنارفون"، وجزيرة "أنجلسي" تلوح في الأفق، وبحيرة "كوم دولين" مثل الرحم الذي يحملنا على الجهة الأخرى. بدا كل شيء كما يجب أن يكون. كان الربيع يحاوطنا بطيبته ودفئه. كان من الصعب التصديق أن القنابل يمكنها أن تقع من سماء زرقاء ورائعة مثل هذه.

لم يبكِ "دافيد" و"سوزان ثورب"، على الأقل ليس أمامنا على أي حال. جلست "سوزان" على العشب مع "ديلان" وعادا إلى اللعب بسيارات السباق الصغيرة وسط أدغال زهرة الهندباء في حديقتنا. عاد "دافيد" إلى سيارتي ليساعدني على حمل الكتب إلى داخل المنزل.

قلت له في محاولة مني لقول شيء يملأ الصمت:

- لا أعلم لماذا أحضرت الكتب الويلزية. لا أقرأ كثيرًا لأكون صريحة.

استند "دافيد" إلى ركبتيه ووضع الكتب في كومة في غرفة المعيشة. تنوعت الكتب بين كتب "توماس هاردي"، و"جودي بيكوليت"، و"دوي بريسور". ظل هناك للحظة، وعدل نظارته على أنفه. ظننت للحظة أنه سيبكي ولكنه قال:

- أعتقد أن الغريزة هي التي تجعلك تنقذين أولئك، لأنكِ تشعرين تلقائيًا بأنكِ ستكونين في خطر أكبر إذا خسرتهم.

كتبت هذه الكلمات في هذه الليلة على ظهر فاتورة قديمة ولصقتها على الثلاجة بمغناطيس على شكل زهرة. " أعتقد أن الغريزة هي التي تجعلك تنقذين أولئك، لأنكِ تشعرين تلقائيًا بأنكِ ستكونين في خطر أكبر إذا خسرتهم"، "دافيد ثورب"، مايو 2016.

سألت:

- عمَّا تتحدث؟ الكتب؟

فرد "دافيد":

- اللغة.

حاولت أن أبحث عن كلمات لم أحتج إلى أن أقولها من قبل.

- أنا.. أنا لا أتحدث الويلزية.

فسألني:

- أووه! حقًّا؟ ألم تذهبي إلى المدرسة هنا؟

فقلت:

- حسنًا، بلى ولكن.. أستطيع أن أتحدث الويلزية، ولكنني أفضل ألا أستخدمها.

قال "دافيد" كما لو أن هناك المزيد مما أراد أن يخبرني به:

- بالطبع.

فقلت له:

- إن الأمر معقد. تحدثنا الويلزية في المنزل فترة في أثناء نشأتي.

ابتسم بحزن وقال:

- يا إلهي، وأنتِ لا تتحدثينها مع "ديلان"، لغتك الأم.

كان يجب على أحد أن يقرأ الكتب بالطبع. بدأت بقراءة الروايات وبجانبي قاموس محاولة التغلب على صعوبات فهم الجمل. لم يكن هناك العديد من كتب الأطفال في المنزل، ولهذا بدأت في قراءة الروايات بصوت عالٍ لـ"ديلان" في الأمسيات. ارتبك لساني وأنا أنطق الكلمات وارتبك عقله وهو يسمع قصصًا قديمة ومعقدة للغاية بالنسبة إليه. ولكنه كبر سريعًا. وما إن وصل إلى عمر العاشرة، كان يستطيع أن يقرأ كتب اللغة الويلزية للمرحلة الثانوية، وحفظ صفحات بسيطة من الفصول الأولى من الكتب الضخمة القليلة التي يقرأها الجميع. كان "ديلان" يقرأ كل شيء في المنزل في الوقت الذي كان من المفترض فيه أن يبدأ المدرسة الثانوية، وكان يعتمد على نفسه بالكامل. عرف أكثر بكثير مما كانت المدرسة ستعلمه إيَّاه.

وأنا أيضًا، تلك الفتاة الغبية وغير المرئية الجالسة في الصف الأخير، ومن تخلت تدريجيًّا عن لغتها الأم لأن كل الأشياء الرائعة، والفرق الغنائية الأمريكية، والدراما الإنجليزية كانت بلغة أخرى. كتبت المعلمة "إليس"، معلمة اللغة الويلزية، في تقريري أن قواعد اللغة الويلزية الخاصة بي ضعيفة وأنني دائمًا ألوث كلامي باللغة الإنجليزية. قرأت كل الكتب الآن، وأعرف كيف أكتب باللغة الويلزية بقواعد سليمة وصحيحة. أعرف أعمال "تي. إتش باري-ويليامز"، و"كيت روبرتس"، و"سيريوج". لا أعلم مكان المعلمة "إليس ولش" الآن فربما ماتت في أغلب الظن، لكنني ما زلت غاضبة منها بسبب إخفاقاتها. لو لم تقع "النهاية"، لشعرت أن هذه الكتب ليست لي، وأنني لست جيدة بما يكفي لأطلع على لغتي الأم. كان هناك العديد من الكلمات لم أكن لأتعلمها لو لم ينتهِ العالم.

هناك قائمة على الحائط فوق فتحة المدخنة: قائمة بالكلمات الويلزية الجديدة لي ولـ"ديلان". لم نعد نضيف إليها بعد الآن، ولكن في بعض الأحيان، أنظر إليها؛ تلك الكلمات التي اخترناها بعد أن انقطعت الكهرباء، وأفكر فيما قاله السيد "ثورب".

أقول الكلمات بصوت عالٍ في بعض الأحيان، وتشبه نشرة الشحن التي كانت تَذاع على الراديو في وقت متأخر من الليل، وتخبرني عن الأحوال الجوية في الأماكن البعيدة.

- Adwaen: تعني يتعرف.

- Digofaint: تعني الغضب.

- Einioes: تعني مدى الحياة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ديلان

كان لدينا صوبة كبيرة واحدة فقط في البداية ولم تكن بنصف جودتها الآن. كانت ترفرف في الهواء وكانت الأعمدة تقع أحيانًا. كانت تسرب الهواء.

عرفت ما أنا ماهر فيه مباشرة على الرغم من كوني لم أتعدَ السادسة من عمري حين بدأت "النهاية"؛ بعد أن بنينا الصوبة الزراعية، زرعنا البذور وصلينا من أجل الأفضل. كنت أنا من أسقيها، وأنا من فصل بين البذور الصغيرة لتوفير مساحة أكبر للنمو. وعندما يحين الوقت، كنت أنا من أجمع البذور الجاهزة للزراعة في العام المقبل.

أتذكر النجاح الأول.

حدث بعد انقطاع الكهرباء ولكن قبل مرور السحابة. لم يمر وقت طويل على غرس البذور، ولكن ما زلت أتسابق كل صباح إلى الصوبة لأرى ما إذا كان هناك أي شيء يُرى في التربة الرطبة. رسمتُ أنا والسيد "ثورب" لوحات صغيرة من البلاط مكتوب عليها أسماء النباتات لنتذكر ما زرعناه. أراد أن يكتب الأسماء الويلزية والإنجليزية معًا لسبب ما، ولهذا كان عليَّ أن أذهب إلى المنزل لإحضار القاموس الثقيل. ما زالت اللوحات هنا وعليها خط السيد "ثورب" المائل على كل واحدة: بصل، وجزر، وروزماري.

ثم، ذات صباح، وبعد أسابيع من الري، والمراقبة، والأمل، ظهر شيء. كانت هناك حياة صغيرة، صغيرة للغاية وملفوفة، مثل ومضة اللون الأخضر، أو ذرة في قلب التربة الميتة.

كانت بداية شيء ما.

شعرت بحماس الموقف في كل خلايا جسدي وكأن كهرباء جديدة قد سرت في جسدي. شعرت بالفخر والسعادة لأنني بطريقة ما ساهمت في خلق هذه الحياة: ذلك الشيء الرائع والصغير للغاية. ركضت إلى الأعلى لأمي وهزتها حتى تستيقظ قائلًا:

- أمي! لقد نجحت!

نهضت مباشرة ولم تعطِ نفسها وقتًا لتستيقظ على نحو كامل، وسألتني كما لو أنني قلتُ شيئًا بشعًا:

- ماذا؟

فقلت لها:

- في الصوبة! هناك جزرة تنمو!

تنفس جسمها كله الصعداء وتمددت إلى الوراء. ثم ابتسمت ونظرت إليَّ وقالت:

- حسنًا. هذه أخبار جيدة.

أنا واثق بأنني جلست هناك طوال اليوم وأنا أشاهد تلك الشرارة الصغيرة الخضراء لأرى ما قد يحدث لاحقًا. جلبت أمي كرسيًا لي، وغطاءً على الرغم من أن الجو كان دافئًا داخل الصوبة.

كانت هناك صفوف من النباتات الصغيرة التي تدفع بنفسها خلال التربة. حميتها كما لو..

حسنًا. كنت سأقول كما لو كانت هي "محور حياتنا"، وهي الحقيقة بالفعل. لا أظن أنني أدركت هذا في ذلك الوقت.

أصرت النباتات على الحياة، حتى في أثناء العواصف والرياح العالية، وفي الأيام التي مرضنا فيها أنا وأمي لدرجة أننا لم نستطع الاعتناء بها. تحدثت إليها، بالطبع، لأنني أحب الكلام ولأنني شعرت أنني بمنزلة والدها ولكن بطريقة صغيرة وسخيفة بصورة ما.

ها هو شيء آخر سخيف أيضًا. شعرت بالذنب في وقت الحصاد. شعرت بالذنب وأنا أقتلع البطاطس والجزر من التربة، وأغسل التراب في النهر، وأقطعها بالسكينة الحادة الكبيرة. أخذت هذه النباتات وقتًا طويلًا لتنمو، وعاشت في الوقت الذي ماتت فيه أشياء أخرى كثيرة. أحببتها ولم أرغب في أن أراها تتوقف عن وجودها.

قالت أمي ونحن واقفون في الصوبة ذات يوم، وشوكة العناية بالزرع في التربة والتي أحضرناها مسبقًا استعدادًا لحصاد البطاطس:

- ظننتك ستكون سعيدًا وأنت تأكل أشياء زرعناها.

ابتلعت ريقي مرة تلو الأخرى، وحاولت أن أمنع نفسي من البكاء. لم أرد أن أعترف لأمي، لم أرغب في البكاء على شيء أعلم أنه غبي للغاية.

نزلت أمي على ركبتيها، ولمست خدي. كانت رائحتها مثل رائحة النعناع في الحديقة. قالت لي:

- إن الأمر صعب؛ أن تأكلها وقد تعبت للغاية لتبقيها على قيد الحياة.

أومأت برأسي، فأنا أعلم أنني سأبكي لو حاولت أن أتحدث.

أكملت أمي حديثها:

- حسنًا. نحن قرأنا الكتب، أليس كذلك؟ ولهذا فنحن نعرف كيف نحافظ على بعضها لنزرعها العام المقبل. سنجمع البذور هذا العام، ونزرعها العام المقبل، ونفعل الشيء نفسه العام التالي، والعام الذي يليه. إن الأمر وكأننا.. نرعى أطفالها. سنحرص على أن يكون هناك نباتات جديدة كل عام.

بدا كلامها منطقيًّا، ولكنني ما زلت أشعر وكأنني ارتكبت خيانة ما. أعلم أن أمي قتلت بعض الحيوانات لنأكلها منذ حدوث "النهاية": الأرانب، والقليل من السناجب أو أيًّا ما تم الإيقاع به في المصائد. ولكن هذا الأمر كان أسوأ بكثير؛ لأنني لم أكن أعرف الحيوانات.

قلت لأمي:

- لا أريدها أن تموت.

هزت أمي رأسي وقالت:

- أعلم يا عزيزي. ولكنها ليست مثلنا يا "ديل". لا تشعر بالألم. لا تعلم ما يدور حولها؛ فهي مجرد نباتات.

ما زلت غير واثق من أنني أوافقها في هذا الكلام.

تسللت إلى عيني الدموع عندما أكلنا هذه البطاطس بعد أن طبخناها على النار لمدة ساعة. وضعنا داخل القشرة مزيجًا من الثوم، والنعناع، والمرمرية - أعشاب زرعتها - وملح، وكمية ضئيلة من لحم الأرنب الذي تبقى من عشاء البارحة. وبكيت. كان نوعًا غريبًا من البكاء لأن شكل وجهي لم يتغير ولم أكن أتنفس بسرعة أو أي شيء. ولكن سالت دموع ساخنة وكبيرة على خدي.

مدت أمي يدها لتمسك بيدي، ولكنني هزت رأسي. كانت هذه دموعًا سعيدة. كنت في السابعة من عمري وها أنا قد زرعت طعامًا، وفي ركن ما في عقل الولد الصغير الخاص بي، علمت من أكون ومن المفترض أن أكون.

روينا

أعتقد أنه يجب عليَّ أن أكتب قصة "ديلان"؛ لأنني لا أراه بما يكفي. كل ما في الأمر أنني أراه طوال الوقت، فنحن لا نفترق أبدًا، ولكن أن ترى الشخص نفسه كل يوم هو ما يجعل المرء غير مرئي.

أسميته "ديلان أوليفر ويليامز" لأنني أردت أن أسميه "أوليفر" ولكنني لم أكن إنجليزية بما يكفي ولم أكن أنتمي إلى الطبقة الوسطى بما يكفي لأسميه هذا الاسم. وُلد في غرفة بيضاء في مستشفى "يزبيتي جوينيد" في "بانجور" في يوم ثلاثاء من شهر يناير. كان وزنه ثمانية أرطال وأونصة على الرغم من أنهم توقفوا عن الوزن بهذه الأوزان. كان له شعر أسود قاتم؛ درجة السواد نفسها التي تنعكس حين تقع أشعة الشمس على طائر أسود. كان لامعًا وناعمًا.

ولد بندوب؛ فقد ترك ملقط الولادة آثارًا على جانب رأسه. صُدمت جراء قسوة شد الطبيب له في أثناء الولادة. شعرت أن مجهوده غير كافٍ لأن يواجه قسوة المستشفى. توقعت أن ينزلق إلى العالم، ولكن كان الواقع معقدًا، وعنيفًا، وبشعًا. شعرت كما لو أن أحشائي قد نُزعت من مكانها. اندهشت من عدم سهولة الولادة، وصخبها. إن عملية الولادة مثل التعرض إلى الضرب المبرح.

لم يكن والده هناك. كان من المفترض أن تأتي معي صديقتي "إيلا" ولكنها لم ترد على هاتفها تلك الليلة. ولهذا كنت وحدي حتى جاء "ديلان". كنت وحدي منذ البداية.

كان فكرة أن تكون موجودًا في هذه الدنيا مختلفة للغاية قبل "النهاية".

مر وقت حين كان لا يزال رضيعًا، عندما كان استثنائيًّا بالنسبة إليَّ. تعجبت من أصابعه الضئيلة، والطريقة التي كان يبتسم بها في بعض الأحيان في أثناء نومه، ووزنه الرائع، ودفء جسده بين ذراعي، والشعور الجديد بحماسي الناتج عن أمومتي. اندهشت أيضًا من ابتسامته حين كان يركز عينيه على وجهي ويبتسم لأنه عرفني، أو أنين بكائه حين كنت أضعه لأعد الشاي أو لأذهب إلى الحمام، وحين وقف أخيرًا على قدميه كانت ذراعاه الصغيرتان والسمينتان تلتف حول أرجل سروالي الجينز لتسندني.

اعتدنا التظاهر بأن في الأم ما يشبه تضحية الشهداء، وأننا ننحي أنفسنا جانبنا لخدمة أطفالنا. ينجب الناس أطفالًا فقط ليعطوا لحياتهم سببًا للعيش، وللتأكد من أن لهم دورًا جيدًا ومستحقًا في الحياة. أن يكون لديك شخص معتمد عليك بالكامل قبل "النهاية" شيء جيد، ولكنه أصبح شيئًا غير إنساني الآن.

إن إنجاب الأطفال هو أكثر فعل أناني يمكن فعله.

كنا دومًا فريقًا، أنا و"ديلان". نحن الاثنين في مواجهة العالم. مثل جيش من رجلين ولكن دون أسلحة سوى عربة تصلح لجميع أسطح الأرض وكارتون "توماس" القطار.

لم يتبقَ أحد لي، ولا أرغب في ترك وظيفتي و"جاينور" من أجل الأضواء البراقة لـ"بانجور" أو "كارنارفون".

كنت وحيدة بحق المسيح!

في بعض الأحيان، أحتسي كأسًا من النبيذ، ولكن أن تفتح زجاجة من أجل شخص واحد هو إهدار، ولهذا عادة ما كنت أشرب الشوكولاتة الساخنة أو فنجانًا من الشاي. دائمًا ما يحدث هذا في ليالي الجمعة عندما يعم البيت جو من الدفء والراحة، ويكون "ديلان" في السرير وخدوده حمراء للغاية من الإرهاق. كانت رائحته مثل الصابون، والأحاديث الدافئة، واللبن. لم أجد ما أشاهده على التليفزيون سوى برامج حقيرة لا أهمية لها. أمضي الوقت في مشاهدة منشورات خادعة عن الحياة المثالية على موقع "فيسبوك". أرتب قليلًا، وأرسل القليل من الرسائل إلى القليل من الأصدقاء. وعلى الرغم من أنني كنت أملك كل شيء؛ بيتًا دافئًا، وابنًا بصحة جيدة، ووظيفة أحبها، فإن ذلك الإحساس ظل موجودًا.. إحساس حاد بالقسوة. انتظرت أن يصيبني الإرهاق الكافي للخلود إلى النوم. سلمت أمسيتي إلى شاشة لا يمكنها أن تراني. كنت أقضي حياتي وأنا أشاهد حياة الآخرين.

شعرت بالملل.

لا يمكنني القول إن أطفالي مختلفون دون الاعتراف بأنني كنت وما زلت مختلفة أيضًا. سكن الخجل بين ضلوعي. كنت فتاة صامتة، وساكنة، من النوعية الموجودة في فصلك طوال العام ولكن تختفي من ذاكرتك للأبد حتى بعد أن ترحل. بالطبع هناك أسباب لذلك؛ فقد عشت أشكالًا مظلمة ذكريات كئيبة في سنواتي الأولى الغامضة ولكن لن أكتب عنها. لا يجب تدوين كل شيء وتذكره.

لم يكن مثل الأطفال الآخرين؛ ويرجع السبب إليَّ على الأغلب. كان يتعامل بشيء من التوتر والخجل في حركاته. لم يرغب "ديلان" سوى أن يكون غير مرئي وسط قرية ومدرسة وعالم يستميتون من أجل جذب الانتباه. كل ما أراده "ديلان" هو أن يختفي وسط الجموع سواء في قريته أو في مدرسته؛ لم يرد لأحد دون أن يشعر بوجوده.

كان شخصًا آخر قبل "النهاية".

كان كل شخص مختلفًا بالطبع، ولكن تغير "ديلان" مباشرة في بداية الأمر. توقف عن طلب الشاشات الإلكترونية بعد ثلاثة أيام من قطع الكهرباء. بدأ في الذهاب إلى الحديقة قبل أن أستيقظ في الصباح. وبعد عشرة أيام، توقفت عن القلق أن أحدهم سيأتي ويختطفه، وسمحت لنفسي أن أومِن بأنه سيكون على ما يرام في الحديقة خلف السياج.

كان أصغر من أن يساعدني على بناء الصوبة ولكنه ساعدني بالفعل وكان ذا فائدة كبيرة. ثم ساعدني على إزالة الأعشاب الضارة، والزراعة، والري عندما بدأنا في زراعة الطعام. ومن ضمن الأنشطة التي أداها من بين سباق السيارات الصغيرة وصناعة الأشكال من الصلصال، جمع ابني أخشاب الشجر لإشعال النار وتنظيف الحقول من عش الغراب. تحوَّل من ولد صغير إلى ولد كبير يعرف أن لديه غاية، أو وظيفة.

لا مكان للاختباء في هذا العالم الجديد، ولا مساحة تحترم الأشخاص ومن ثم لا مكان للأكاذيب. أعلم من يكون "ديلان" بالضبط؛ إنه قوي ولكنْ لطيف، وحكيم، وصلب. وفي بعض الأحيان، يصمت أكثر من اللازم ويتأمل الجبال أو ينظر إلى بحيرة "أنجلسي". يسرح عقله في التفكير في أشياء لا أعلم عنها شيئًا. إن عقله هو مخبأه الوحيد.

إنه طويل، أطول مني، وساهمت الشمس في اسمرار وجهه وأضفت القليل من الاحمرار على شعره الأسود. عينه زرقاء وواسعة، وذقنه مربع ينبئ بأنه سيصبح وسيمًا يومًا ما. كان نحيفًا للغاية بالطبع، ولكن العضلات المشدودة تحت بشرته دليل على صحته. إن أسنانه الأمامية معوجة قليلًا.. تغطي واحدة على الأخرى على نحو خفيف مثل..

يا إلهي ساعدني!

إن هذا هو الشيء الوحيد الذي أخذه عن والده على ما أظن؛ السِّنة الأمامية المعوجة، وغير المثالية، والجميلة. تذكرني أسنانه، عندما أسمح لنفسي بالتفكير في الأمر، بابتسامات من وقت بعيد وسط ضوء الصباح الباكر من فم كان مليئًا بالكلمات الطيبة والوعود المتفائلة.

ديلان

أصاب "مونا" القليل من السعال، أو هكذا قالت أمي: "القليل من السعال".. أو ربما هو لا وجود له على الإطلاق. تقول أمي إننا من المؤكد سنصاب به أيضًا لأن السعال ينتشر مثل الرطوبة في الحيطان؛ لا يوجد الكثير الذي يمكننا أن نفعله حيالها. لكن لم تستقر حالة "مونا" في الوقت الحالي؛ فهي لا تنام، ولا تريد أن نضعها في السرير أبدًا. إنه لأمر غريب؛ لأنها لا تبدو سعيدة بوجود أمي أو بوجودي، ولا ترغب في أن تكون بدوننا أيضًا. تربطها أمي إلى بطنها بالحمالة وتواصل حياتها كما لو أن كل شيء على ما يرام.

عندما كنت صغيرًا في السنوات القليلة بعد "النهاية"، كنت أشرب شيئًا ورديًّا من زجاجة بنية حين أمرض. كان طعمها غريبًا وحلوًا مثل الآلاف من زهر العسل مرة واحدة. ولكن نفد الشيء الوردي منذ زمن بعيد والآن نستخدم الزجاجات من أجل صنع المخلل، حتى ولو كانت صغيرة الحجم للغاية ولها أغطية بيضاء بلاستيكية مثالية. أنا قلق بشأن "مونا"؛ لأن وجنتيها حمراوان، وبدت عيناها غريبتين وكسولتين. لكن أمي تقول إن "مونا" قوية وإنه مجرد دور برد. تقول إنني قلوق، ولكنها لا تفهم من أين يأتي قلقي في الوقت الذي اختفى فيه كل ما يمكن أن نقلق بشأنه.

كنا نجلس على سقف المنزل المائل البارحة، وتظللنا قطعة من المشمع لتحمينا من المطر. سألت أمي:

- لماذا يؤمن الناس ببعض الكتب دون الأخرى؟

فتساءلت:

- ماذا؟

فقلت لها:

- حسنًا، يؤمنون بالإنجيل ولكنهم لا يؤمنون بـ"هاري بوتر".

تجعدت جبهة أمي وقالت:

- إنها كتب مختلفة تمامًا. إن كتب "هاري بوتر" هي روايات.

فقلت لها:

- نعم، ولكن يحتوي الإنجيل على قصة أيضًا. فلماذا إذًا من المفترض أن نؤمن بواحدة دون الأخرى؟ فهناك بعض الدروس الجيدة للغاية في "هاري بوتر"، ورواية "سيدر" و"روزي"، ورواية "للاد ديو".

أعلم أنها لم تقرأ "للاد ديو"؛ فقد كان كتابًا ويلزيًّا، ولا أعتقد أنها كانت ستحب قراءتي له لو علمت بالأشياء البشعة التي تحدث به. لقد كان عبقريًّا.

رفعت أمي حاجبًا واحدًا. فأكملت:

- أنا جاد يا أمي! لا أفهم الأمر.

قالت لي:

- ولا أنا أيضًا. لا أعلم السبب يا "ديل". ربما يجب عليك أن تعامل كل كتاب بالتساوي وتقرر أيهما مقدس بالنسبة إليك.

يختلف ذوقنا في الكتب تمامًا. تقرأ أمي سريعًا، وتعيد قراءة الكتب نفسها مرات عديدة: كتب الأخوات "برونتي"، و"كيت أتيكنسون"، و"بيثان جاواناس". لا تقرأ الكثير من الويلزية ولكنها تقرأ أكثر مما كانت تفعل في السابق.. أحيانًا، تقرأ بصوتٍ عالٍ. أتمنى دائمًا أن تقرأ بصوت عالٍ حتى أستطيع أن أسمع وقع اللغة الويلزية على أذني مرة أخرى بدلًا من مجرد قراءتها في الكتب. لا تشعر بنفسها وهي تقرأ، على الرغم من أنها قرأت الكتب نفسها عشرات المرات من قبل. أقرأ ببطء، وأقرأ الكتاب نفسه مرة أخرى مباشرة بمجرد أن أنتهي منه حتى أحفظه في ذاكرتي. أقرأ في بعض الأحيان الكتاب نفسه ثماني مرات مباشرة مرة تلو الأخرى. أحفظ معظم كتاب "ادفن قلبي عند الركبة الجريحة" عن ظهر قلب، وبعض الأجزاء من "واي جيميد" لـ"كارل لويس"، والصفحات الافتتاحية لـ"استيقاظ الكراكين" لـ"جون ويندام". أسمعها لـ"مونا" في أثناء عملي وتسمعني حتى ولو لم تفهم دائمًا.

وعلى الرغم من أن أمي تتحدث في بعض الأحيان عن العالم قبل "النهاية"، فأنا أظن أنني عرفت أكثر عنه من الكتب.

تحدثت عن كيف كان كل شيء سريعًا، وكيف امتلك كل شخص الكثير من كل شيء ولكن الكتب تقول أكثر من ذلك. تقول أمي إنه لم يكن هناك هذا الكم من القتل مثلما يوجد في كتب "للويد أوين"، ولا يوجد أحد على القدر نفسه من تعاسة "موريسي" في سيرته الذاتية. ولكنها لا تعلم أن تلك هي الأشياء الشائقة بالنسبة إليَّ.

هل كان الناس مع بعضهم هكذا قبل أن تأتي النهاية؟

هل كانوا مثل القصص؛ في مشاحنات وجدال بسبب أقل الأشياء؟ هل كانوا أصدقاء مع بعض الأشخاص دون الآخرين؟ هناك بعض الكتب عن الأمهات واستقلال الأطفال وعن الحياة الكاملة التي يختارونها دون أن يروا بعضهم، هل حدث هذا في الحقيقة؟

إن أغرب الأشياء على الإطلاق هي شيء يمكنني أن أتذكره من مرحلة ما قبل "النهاية". لا يتحدثون عنها في الكتب، ولكنها موجودة في كل شيء ولكن لا نقولها. سألت أمي عنها البارحة:

- كان الناس يمرون على بعضهم قبل "النهاية"، أليس كذلك؟

فسألتني:

- ماذا تعني؟

فقلت لها:

- في الشارع، أو في المحل، أو أيًّا كان. كان الناس يمرون ببعضهم دون أن يقولوا أي شيء أو ينظروا لبعضهم بعضًا.

تحركت أمي إلى جانبي قليلًا. كان الجو باردًا ولكننا شعرنا بالدفء تحت قطعة المشمع. سألتني:

- أنت حقًّا لا تتذكر أي شيء على الإطلاق؟

كان الأمر مثل الذكرى المشوشة، ولكنها بدت غريبة الآن لأنه لا يوجد أحد سوى أمي و"مونا" وأنا. قالت أمي:

- نعم، مئات الأشخاص كل يوم. في المحل وفي المعارض وفي الشارع. لم يعنِ الأمر شيئًا.

فقلت له:

- لا أعلم كيف للعالم أن يكون هكذا.

أزاحت أمي غطاء رأس سترتها ونظرت إليَّ. تاهت عيناها وسط الظلام، ولكنني كنت أعلم أي تعبير سكن وجهها. سألتني:

- ماذا ستفعل يا "ديل" لو أن أحدهم جاء إلى هنا غدًا؟

أجبتها كما لو أنني أجرؤ أن أتخيل في حياتي شيئًا مثل هذا؛ أن هناك أشخاصًا آخرين ما عدا أمي و"مونا" وأنا:

- سيكون أمرًا رائعًا!

فسألتني أمي:

- وهل ستدُخله منزلك؟ وتعطيه مسكنًا وطعامًا؟

فقلت لها:

- بالطبع، سأفعل ذلك.

فسألتني:

- ولكن ماذا إن كان هناك - لا أعلم - أربعة منهم؟ ولا يوجد طعام يكفينا ويكفي أربعة أشخاص إضافيين؟ ماذا ستفعل إذًا؟

فقلت لها:

- سأجعله ممكنًا. سأزرع المزيد من النباتات وأبني المزيد من الصوبات.

صمتت أمي لوقت طويل ثم قالت:

- تملك قلبًا طيبًا يا "ديل".

فقلت لها:

- Maddau i ni ein difrwader.

نظرت أمي إليَّ وبدا عليها عدم الفهم؛ فقد كان الويلزي معقدًا للغاية بالنسبة إليها لتفهمه. ترجمت الجملة إلى:

- تعني، "اغفر لنا عدم مبالاتنا".

فكرت في تلك العائلة الخيالية المكونة من أربعة أشخاص، التائهة من مكان إلى مكان في رحلة بحث عن منزل.

قالت أمي:

- تعرف إنجيلك.

ولم تكن هي تعرفه. فقلت لها:

- إنها من قصيدة لـ"أليد لويس إيفانز". تحبها "مونا" عندما ألقيها على مسامعها؛ فهي تحب وقعها.

تنهدت أمي قائلة:

- بالطبع تحبها.

إن "مونا" تضحك لأي شيء خاص بالإنجيل وأي شيء له الوقع نفسه.

تباطأ المطر ثم توقف. قالت أمي:

- إن هذا الصمت مثالي للغاية.

عدنا إلى المنزل، ووضعنا البرَّاد على النار لنصنع كوبًا من شاي نبات القراص. كانت أمي تقرأ رواية ويلزية للأطفال الأكبر سنًّا وكانت قد قرأتها عشرات المرات من قبل. جلست على أحد الكراسي في راحة كبيرة مصطحبة الرواية. عدت إلى كتاب "أفال دروج أددا"، وهو سيرة ذاتية لكاتب اسمه "كارادوج بريتشارد" لأن الرجل في الرواية كتب عن التنزه بدراجته. أحببت أن أتخيل ما كان سيكون عليه الأمر إذا كان لديَّ الكثير من الأشياء لأقوم بها والكثير من الأماكن لأذهب إليها: أي العديد من الوجهات.

سألت أمي:

- أتريدين غطاءً؟

هزت أمي رأسها وقد بدت سعيدة للغاية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

سألني "ديلان" البارحة عن معنى كلمة "ويلفا" "Wylfa". ابتلعت ريقي بعض المرات، لأنني أردت أن أدفع بهذه الكلمة إلى آخر حلقي، وأن أدفنها في أعماق روحي. قلت في النهاية:

- ألم تبحث عنها في القاموس؟

قال لي إنه بحث ولكنه لم يجد شيئًا، وسألته عما إذا بحث في القاموس الويلزي أيضًا، فالتف وبحث في الصفحات. ثم نظر إلى الأعلى وبدت على جبهته علامات الحيرة. قال لي:

- "ويلفا" "Wylfa": المنارة، أو برج المراقبة.

كان "ويلفا" هو اسم محطة الطاقة النووية على الجانب الآخر من بحيرة "أنجلسي". لم أسمع في حياتي كلمة أبشع أو أكثر قسوة منها.

مرت قرابة ستة أسابيع منذ أن هجرتنا الكهرباء. إن ستة أسابيع مدة طويلة؛ طويلة بما يكفي لاعتياد الحياة الجديدة. لم يمر أحد، أي شخص على الإطلاق على الشارع الصغير المؤدي إلى بيتنا. كان هناك فقط أربعة أشخاص في حياتنا: أنا، و"ديلان"، والسيد والسيدة "ثورب".

كانت هناك علامات تشير إلى أن هناك شيئًا مروعًا على وشك أن يحدث.

كنا جالسين على غطاء قديم في حديقة السيد والسيدة "ثورب". حسنًا، كنا أنا و"سوزان" جالسين وكان "دافيد" مع "ديلان" في نهاية الحديقة ناحية البركة. جلس "ديلان" على ركبتيه أمام قاموس. كانا يحاولان تعلُّم الكلمات الويلزية السليمة للكائنات التي يريانها. Madfall, malwood, morgrug - "سحلية، حلزون، نملة". تساءلت عن سبب عدم تعلم "دافيد ثورب" الويلزية حتى الآن؛ فقد كان حريصًا جدًّا على جمع الكلمات في هذا الوقت.

فجأة، أصبحوا في كل مكان. كان هناك العديد من كائنات الحلزون في الحديقة، وفي الممر، وعلى الغطاء.

عرج "دافيد" على قدميه وصرخ:

- اللعنة!

قفز الجميع. شاهدنا المئات من الحلزونات البدينة والمبللة تزحف في الحديقة بيني وبين "ديلان". شعرت كما لو أنه كان بعيدًا جدًّا عني.

قال "ديلان" وهو يشعر بالحيرة البشعة في وقتها:

- أمي..

كذبت عليه قائلة:

- لا بأس يا "ديل". لا يمكنها أن تؤذينا.

ولكنني لم أعلم ما إذا كانت تلك هي الحقيقة.

تعجب "دافيد" قائلًا:

- ولكنها ساخنة لدرجة أنها تحرق!

ردت زوجته بعد دقيقة ونصف الدقيقة تقريبًا. كان صوتها ثقيلًا مثل النهاية:

- بالضبط.

لم أفهم الأمر مباشرة؛ فالحلزون لا يخرج في الطقس الجيد.

لم يعمل عقلي كما الآن في وقته. ولكنني فهمت ما حدث بعد فترة وأنا أشاهد الحلزونات تبطئ من زحفها وتتوقف وتجف. التفت ذيولها وتحولت بشرتها إلى ألسنة من الجلد.

اختارت الحلزونات أن تموت.

رفعت نظري إلى "سوزان" ونظرت هي إليَّ. كانت امرأة جميلة، وجمالها هادئ وساكن مثل أي جمال لامرأة إنجليزية في منتصف العمر. ارتدت صليبًا صغيرًا في سلسلة فضة رفيعة حول رقبتها، وكان شعرها مثل كرة الحرير على آخر رقبتها الضيقة. كانت يداها طويلتين وأصابعها صغيرة ومعتنى بها. كان زوجها طيبًا وكثير الكلام. ولكن كانت هذه السيدة "سوزان إليزابيث ثورب" التي ولدت في "ثانيت" في عام 1943، وزوجة لـ"دافيد"، ووالدة "جوناثان" و"بيتر"، ومعلمة التاريخ، وسكرتيرة الفرع المحلي من "مؤسسة المرأة ذكية". فهمت أكثر بكثير من الآخرين بطريقتها الساكنة والصامتة. وعلمت ما في الأمر عندما نظرت إليَّ "سوزان" في هذا المساء وسط حقل من الحلزونات الجافة التي أفسدت نعومة حديقتهما المثالية.

مشيت نحو "ديلان" على العشب في محاولة مني للتظاهر بأن تلك الحلزونات لم تدخل حذائي مع كل خطوة. قلت:

- من الأفضل أن نذهب إلى المنزل. أراكما فيما بعد.

شد "ديلان" يدي وصرخ حين كنا قد وصلنا لتونا إلى سور حديقتنا:

- أمي!

ثم سمعت الصوت؛ فقد بدأ منخفضًا مثل الهمسات في الليل ثم أصبح أعلى وأعلى مثل مجادلة مشتعلة. رأينا ظلالًا في الأفق تخيم علينا، وكأنها سحابة سوداء من فوق "كارنارفون".

طيور.

رأينا جميع الأنواع: النورس، والسمان، والعقعق، والطيور المغردة. كانت هناك سحابة منها تتجه نحو الجنوب، وأصوات أجنحتها مثل الأنفاس المتقطعة، ثم أصبحت مثل صوت الثرثرة ثم مثل المحرك فوقنا. كان هناك ما يكفي منها لتحجب الشمس وتجعلنا نشعر بالبرودة. وقف "دافيد" و"سوزان" في حديقتهما، ويديهما في أيدي بعضهما. ارتعشت الظلال فوقهما مثل فيلم قديم. حملت

ابني على الرغم من أنه كان أكبر سنًا من أن يُحمل واحتضنته جيدًا. حدق "ديلان" إلى الطيور وشاهد الكائنات الجميلة وهي ترحل عن هذا المكان.

في العام الماضي، رفع "ديلان" نظره وسألني في أثناء قراءة العهد القديم في يوم ممطر وقبيح:

- هل الحمامة طائر؟ مثل حمامة سفينة نوح؟

فقلت له:

- نعم.

خيمت سحابة قديمة على وجهه، وجعلته يبدو مثل الولد الصغير وهو يقول:

- أتذكر تلك الطيور وهي ترحل منذ زمن بعيد.

مرت سحابة الطيور، واختفت فوق التلال إلى الجنوب. مرت لحظة من الصمت المخيف، ثم حدث ما حدث.

زئير. هزة. أقوى رعد في العالم. هناك شيء غاضب، وصارخ، وميت يمتلك العالم. أعتقد أنه استمر لمدة دقيقة، ولكن يمكن أن يكون قد استمر لأكثر من ذلك أو أقل. اختفى ببطء، وهدأ تدريجيًّا. وعلى الرغم من أن الصوت كان يحاوطنا من كل مكان، وملأ الهواء والأرض وعظامنا، فقد علمنا من أي اتجاه قد أتى. نظرنا جميعًا إلى الاتجاه نفسه.

"أنجلسي".

صعدت السحابة بعد ذلك بعيدًا مثل تغيرات الجو المفاجئة. نادتني "سوزان" بصوت عالٍ عبر الحديقة:

- ادخلي إلى المنزل! الآن!

كان "ديلان" غير مستقر بين ذراعي وأنا أمسكه بقوة شديدة وأركض في اتجاه المنزل. سمعت "دافيد" يسأل زوجته:

- ماذا؟ ما هو؟

ردت عليه "سوزان" بصوتها الناعم مثل النسيم، والقوي مثل الضربة:

- "ويلفا".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ديلان

لم أكتب عن "بويلل" لفترة. هذا ما حدث...

بدأ الأرنب البري في أن يثق بي، ولكن حدث هذا ببطء شديد. بدأت في الثقة به أيضًا. كان جزء مني لا يزال خائفًا منه: وجهه الغريب والميت الذي دائمًا ما يحدق إليَّ. ولكنني قرأت بما يكفي لأعلم أن الأشخاص من الداخل ليسوا كما يبدون من الخارج.

في "الحكايات الشعبية لـ"ويلز" الجزء الثاني للكاتب "إنداف هيوز"، هناك قصة عن "ميلانجل" القديسة التي أنقذت أرنبًا بريًّا من صياد. تحكي القصة أن "ميلانجل" نفسها تحولت إلى أرنب بري، وانحبست روحها داخل كائن مندفع ورمادي اللون. ليس مستحيلًا أن تكون هي من كان بداخل هذا الأرنب البري مع وجهه الثاني البشع. قررت أن أتغاضى عن عيوب وجهه.

كنت أجلس في الكوخ، هادئًا قدر المستطاع ومعي قطعة من الجزر أو ورقة كرنب في يدي. لم يأتِ "بويلل" إلى أي مكان أنا فيه أول مرة، ولكنه في المرة الثانية تسلل من مخبأه خلف علب الدهان وجلس جلسة القرفصاء ونظر إليَّ. ثم اتجه نحوي ببطء قبل أن يندفع إلى الأمام ويأخذ الأكل من يدي.

لن تتفهم أمي الأمر خاصة والطعام نادر ولا شيء متبقٍ لإطعام حيوان أليف.

أستطيع أن أتذكر حين لمست "بويلل" أول مرة.

كان أملس وناعمًا. علم أنني لن أُوذيه على الرغم من أنه كان لا يزال خائفًا مني. لم ألمس وجهه الثاني؛ لأن هذا سيبدو وكأنني ألمس ندبة تقريبًا. في غضون أسابيع قليلة، كان "بويلل" يقفز إلى حضني لأطعمه، ثم يعدل من جلسته لينام في حضني أيضًا وهو يستمتع بإيقاع لمساتي على ظهره.

يا له من أمر لطيف أن تملك شيئًا صغيرًا وناعمًا لتحب.

هناك دائمًا العديد من الأشياء لتأديتها: تقطيع أشجار أو تنظيف التربة من الأعشاب الضارة، أو إصلاح شيء ما أو تنظيفه؛ لكنني قضيت ساعة كل يوم مع "بويلل". وفي بعض الأحيان، إذا تمدد بطريقة معينة على صدري، أستطيع أن أشعر بدقات قلبه الهشة بين ضلوعه.

في صباح بارد من شهر أكتوبر، أخذت "مونا" لتراه. كانت ترتدي معطفها الأزرق وقبعتها البحرية المصنوعة من الصوف. كان شعرها مصففًا في جدائل صغيرة أعلى ياقة المعطف. حدقت إلى "بويلل"، ثم أمسكت ساقي في توتر. رأت وحشًا، وليس حيوانًا صغيرًا. شعرت أن الكوخ أصبح صغيرًا للغاية ليكفي ثلاثتنا. نزلت على ركبتي بجانبها وقلت لها:

- إن الأمر على ما يرام، هذا "بويلل" وهو لطيف. انظري!

أخرجت شريحة جزر من جيبي. تقدم "بويلل" إلى الأمام وأخذها من يدي وبدأ في أكلها. خرجت ضحكة من فمها وصرخت:

- جزر!

قلت لها وأنا أمرر يدي على ظهره:

- نعم، إنه يحب الجزر! ويحب أن تربتي عليه، انظري.

انحنت "مونا" ومدت يدها لتربت على أذني "بويلل" الطويلتين.

وقالت وهي تقلد صوت أمي الناعم وقت نوم "مونا":

- ها أنت ذا. ها أنت ذا.

ذهبنا كل يوم بعد ذلك إلى رؤية "بويلل" دون علم أمي. لم تكن "مونا" كبيرة بما يكفي للحفاظ على سر، ولكن لم تكن أيضًا كبيرة بما يكفي لتخبر سرًّا؛ لم تملك الكلمات المناسبة لذلك. كانت زيارات كوخ السيد "ثورب" لنا وحدنا. بدأت في استعمال حديقة "سونينجدل" لزراعة الكرفس، والبنجر، واللفت، والثوم، ولهذا لم تشك أمي في أي شيء.

أحبت "مونا" الكائن الغريب. لم تمل مطلقًا من اللعب معه، وإطعامه، وملاعبته، والحديث معه بلغتها الطفولية، كانت تقول له: "كُلها كُلها، "بويلل" جميل، عزيزي، اجلس"، والضحك معه في بعض الأحيان. تنام مرة أو مرتين على أرض الكوخ الخشبية ويلتف "بويلل" في حضنها مثل الدمية.

ثم ذات يوم، وأنا آخذ بعض الثوم لأضعه في المطبخ. كانت "مونا" بجانبي وقد أعطيتها تعاليم صارمة بأن تبقى قريبة وتلعب بدميتها المصنوع من الخرق. سمعت صرخة من جانب الكوخ، وها هي "مونا" ودميتها مقلوبة على وجهها للتراب. كان الباب مفتوحًا جزئيًّا واختار "بويلل" الحرية بمجرد أن حصل على الفرصة دون أن يفكر ثانية في الشخصين اللذين اعتبرا أنفسهما أصدقاءه. صرخت "مونا" وعيناها وأنفها تسيل، وصوتها مجروح ومكسور:

- "بويلل"! عُد إلى المنزل!

هذه هي قصة "بويلل". ما زالت "مونا" تسأل عنه في بعض الأحيان، وأخبرها بكل شيء عن حياته بعد أن تركنا، وحياته مع الأصدقاء الخياليين وعائلة جديدة مكونة من حيوان "القاقم" وكائنات بحرية تعيش في "للين كوم دولين". إن "للين كوم دولين" بحيرة كبيرة ومظلمة في التل. إن البحيرة جميلة ولكنها دائمًا ما تجعل الجبال حولها تشعرك بأنك ستغرق. تستمع "مونا" إلى قصصي وعيناها مفتوحتان وإبهامها في فمها. تصدق كل ما أحكيه، وفي بعض الأحيان أكون ممتنًا لأنها أطلقت سراح "بويلل" عن طريق الخطأ. إن الحياة بين أربعة حيطان ليست كافية بالنسبة إلى حيوان بري، حتى ولو كان نصف وحش.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

لا تستطيع أن تحبس الهواء؛ لن تستطيع أن توقفه من أن يتسرب. أغلقت جميع النوافذ بالطبع، والستائر أيضًا. استلقيت على السرير و"ديلان" بجانبي. كان اللحاف يغطي رؤوسنا وتهدئنا تقريبًا رائحة النوم حولنا.

ظننت أننا سنموت أنا و"ديلان" في هذا السرير. يمكن للسحابة أن تأتي وتقتلنا - نحن الاثنين - بمجرد أن تنفث الهواء فينا.

أمسكت ابني بقوة، وشعرت بجسدينا يتبادلان الحرارة. بدت رائحة شعره مثل رائحة نبات "الحزازية"، تمكنت من أن أشم رائحة شواء البارحة في ملابسي. أما عن رائحتي، فكانت أقرب ما تكون لرائحة النار التي أشعلناها بالخارج البارحة. وبما أن هذه هي "النهاية"، بدأت في الغناء. غنيت الأنشودة الوحيدة التي أعرفها بلغتي الأم. رفرفت الكلمات على لساني مثل ذكرى مفقودة. "كالون لان" "Calon Lan" هي أغنية عن القلب الصافي؛ أغنية جماهير لعبة الرجبي والجنائز، وتمارين الكورال السعيدة في الكنيسة في أمسية صيف.

لا أعلم لماذا اخترت هذه الأنشودة. أعرف العديد من أغاني موسيقى البوب الأكثر جمالًا، ولكن كان هذا هو الصوت الذي هرب من فمي عندما ظننت أننا سنموت.

كان "ديلان" متيبسًا قليلًا؛ فقد كان الخوف يجعل عضلاته صلبة. ولكن بعد فترة، استرخى جسده بسبب الإرهاق. مد يدًا صغيرة ووضعها على خدي، وقال بصوت صغير لطيف مثل قلبه الصافي:

- أمي.

خلدنا - نحن الاثنين - إلى النوم. هناك طرائق أسوأ لإنهاء حياتنا.

كانت أغلب السحابة قد اختفت حين استيقظنا. ملأت رائحة البلاستيك المنزل مثل تلك المرات عندما تركت كيس محلات "تيسكو" على غطاء الموقد بالخطأ، أو حين نسى "ديلان" خطة عمله لعبة جندي "أكشن مان" فوق المدفأة. كان لا يزال نائمًا؛ ولهذا نهضت بحذر وذهبت لأسترق النظر عن طريق النوافذ. كان النهار قد أوشك على الانتهاء، وتبقت آثار أدخنة السحابة على التلال مثل الرذاذ الذي يأتي أحيانًا من البحر.

كان هناك طَرْق خفيف على الباب الأمامي. نزلت على السلالم المبطنة بسرعة؛ حتى لا أوقظ "ديلان".

وقف السيد والسيدة "ثورب" على عتبة الباب، وكانا يرتديان معطفيهما على الرغم من أن الجو كان لا يزال دافئًا. وضعت "سوزان" مساحيق التجميل؛ لم أرَها هكذا من قبل. كانت شفتاها ورديتين وجفونها مزينة بظلال العيون الداكنة.

قال "دافيد"، وشعرت بثقل الكلمات التي كنت أتوقعها منذ فترة:

- سنرحل.

منذ أسابيع قليلة، لم يكن هؤلاء الأشخاص إلا مجرد أصوات مُغردة على الجهة الأخرى من حوائط الحديقة. لم نتبادل سوى الابتسامات الرسمية في أثناء مروري بسيارتي. لكنهما أصبحا صديقيَّ الوحيدين بعد "النهاية". كانا الشخصين الوحيدين اللذين يمكن أن أتحدث إليهما لكي أشعر بجزء متبقٍ من الحياة الطبيعية.

سألتهما وأنا أحاول ألا يبدو صوتي متأثرًا أو عاطفيًّا:

- لتبحثا عن أولادكما؟ أنا واثقة بأنكما ستعودان حين..

علقت الجملة في صمت بيننا.

قالت "سوزان" بصوت مكتوم وأعين تخبئ شيئًا ما أبديًّا:

- ليس من أجل إيجاد الأولاد.

كانت تحاول أن تجعل الأمر أسهل. أكملت كلامها قائلة:

- لن نراكِ مرة أخرى يا "روينا"، ولكننا تركنا المفتاح تحت السجادة. خذي أي شيء تحتاجين إليه، أو انتقلي إلى بيتنا إذا أردتِ.

نظرت إلى نقطة ما ورائي وهي تتحدث، وفشلت في أن تنظر في عيني.

سألتهما:

- أين ستذهبان؟

ابتسم "دافيد" في حزن وقال:

- ناحية "ويلفا".

نظرت من واحد إلى الآخر في غضب. صرخت بهما:

- "ويلفا"! ولكن إنه.. ستُقتَلان!

رفعت "سوزان" عينيها إلى عيني أخيرًا وقالت:

- نعم.

لا أستطيع أن أتذكر باقي المحادثة؛ فلا أتذكر سوى تقبل الأمر المروع الذي غلبنا جميعًا. لا، لم أكن لأوقظ "ديلان" ليودعهما. أراد السيد "ثورب" أن يترك كل أدواته في الكوخ لـ"ديلان". لا، لم أحتج إلى الخروج لأقول لهما وداعًا عند السيارة؛ فقد شغلا المحرك بالفعل. لم يعانقني أحد، ولم يميلا ليُقبلاني. لم أقدم لهما يدي لأسلم عليهما، ولم أرجوهما أن يبقيا.

قالت "سوزان" بابتسامة:

- وداعًا "روينا".

التفتْ نحو السيارة. ارتدت هذه السيدة الهادئة، والأنيقة ملابسها الخاصة بالكنيسة إلى رحلتها الأخيرة.

قال "دافيد":

- "روينا"، عندما نرحل أريدك أن تذهبي إلى كوخي. ستجدين حقيبة سوداء طويلة بها مسدس على الرف العلوي على اليمين. هناك ثلاثة صناديق كبيرة من الطلقات بجانبها. خذيها، وأبقيها تحت سريرك.

فصرخت:

- ماذا! لا أريد مسدسًا في منزلي!

فقال لي:

- افعلي هذا من أجلي. استخدميه فقط إذا احتجتي إليه. أرجوكِ يا "روينا". سأموت الليلة، ومعرفتي بأنه معكِ لحمايتك ستجعلني أنعم بالراحة.

هززت رأسي في صمت، وكافأني "دافيد ثورب" بابتسامة كبيرة وواسعة وصلت إلى عينيه. قال لي:

- تملكين قلبَ محاربٍ يا "روينا".

جاوبته:

- ولكنني لا أريد أن أحارب. أريد أن أحيا.

التفتت "سوزان" إليَّ ولوحت بيديها قبل أن يدخلا سيارتهما وقالت لي:

-"Diolch".

أي شكرًا بالويلزية.

شعرت أن كلمة الشكر هذه تنم على لغة كاملة قد نطقها لسانها. ثم رحلا تاركين عالمًا فارغًا وراءهما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

اضطررت أن أذهب إلى حديقة "سونينجدل" لإحضار اللفت. كان "ديلان" يزرعه هنا وكانت التربة جيدة. أمسكت بفأر في المصيدة في الحقل الخلفي يصلح لإعداد حساء جيد مع بعض اللفت والروزماري.

كان يومًا جميلًا لكن شديد البرودة. كان نفسي وهو يصنع سحبًا حول وجهي دليلًا على أنني حية. كانت الأنفاس التي تخرج مني على شكل سُحب دليلًا على أنني ما زلت حية. كان "ديلان" و"مونا" في الحقل الخلفي يزرعان الأشجار. قال "ديلان" إنه من المهم أن نزرع الأشجار؛ لأننا سنحتاج إليها للحصول على الخشب لإشعال النار في غضون خمسة عشر عامًا أو عشرين عامًا. عشرون عامًا! كيف لولد صغير مثل هذا أن يُفكر في المستقبل البعيد هكذا؟

كنت قد دخلت لتوي عبر بوابة حديقة "سونينجدل" عندما رأيته. انتابتني قشعريرة حين رأيت هذا الشيء الذي لم يكن حتى يحاول أن يختبئ أو يهرب.

كان أرنبًا بريًّا، على ما أظن أو اثنين لأنه كان يملك وجهًا قبيحًا؛ وجهًا مسطحًا على ظهر رأسه. كانت عيناه فارغتين وفم صغير وقاسٍ. كان كائنًا كريهًا وبغيضًا. لم يكن عقله طبيعيًّا أيضًا؛ فلو كان طبيعيًّا لفر من أمامي مثلما تفعل الحيوانات البرية كما هو مفترض.

لم يكن معي سوى شوكة أعمال الحديقة، ولكنها كانت تكفي وكان الأمر سهلًا. لم يتحرك الوحش بعيدًا حين اقتربت منه، وانغرست أسنان الشوكة المعدنية في جسمه دون أي مجهود يُذكر مني. ارتعش الكائن مرات قليلة ثم سكن.

على الرغم من أننا عادة ما نلقي بالقمامة في كومة في نهاية الحديقة، دفنت الأرنب البري في حديقة "سونينجدل" ثم غطيت الأرض بأوراق شجر جافة لإخفاء القبر. كان مجرد شيء صغير، ولكن لم أرغب ولن أرغب لولديَّ أن يريا مثل هذه الكائنات المروعة. لا أستطيع أن أحميهما من الأشياء الكبيرة، ولكن يمكنني أن أبعد عنهما بعض الكائنات الصغيرة.

رأيت بعض الوحوش البشعة منذ أن مرت بنا السحابة.

لا أستطيع أن أتذكر متى بدأ المرض، ولكن أتذكر أننا مرضنا أنا و"ديلان" للغاية وأصبحنا طريحي الفراش. كنت متأكدة أننا سنموت بالطبع.

لست واثقة ماذا كان هذا الانفجار؛ فربما حادث في محطة "ويلفا" لتوليد الطاقة وربما لا. ربما يرجع السبب إلى قنبلة في "بانجور" أو على الجسور فوق بحيرة "أنجلسي". لا أعلم شيئًا عن آثار الإشعاع؛ ولهذا لا أستطيع أن أتخيل كمية السم التي تسربت إلى أجسادنا أو الكمية التي ما زالت موجودة.

كنت حكيمة، وفي الأغلب أصبحت قوية بسبب إيمان "دافيد" بي. قررت أن أتصرف مثل امرأة لها قلب محارب. عندما بدأ المرض يتسبب في اضطراب معدتي، خطوت ذهابًا وإيابًا بين المنزل والنهر

في الحقل الخلفي. ملأت الزجاجات، والقدور، وأواني الطبخ ووضعتها حول غرفتي. إذا كنا سنمرض، كان عليَّ أن أتأكد أننا لن نصاب بالجفاف.

بدأت غرفتي بعد أيام قليلة تفوح منها رائحة الموت.

عانينا أنا و"ديلان" ونحن عراة ونتصبب عرقًا من هجمات عنيفة من المرض. أصابنا الألم في كل جزء من جسمنا؛ في عضلاتنا، وفي نخاع عظامنا ثم لم نشعر بشيء. لم يراودنا أي إحساس، كنا - نحن الاثنين - عالقين على باب الحياة؛ كأننا موجودان ولكن بنصف حياة لا يقاطعها سوى ومضات من الواقع تقلق منامي. مر شريط من النور من بين الستائر.

كانت ملاءات السرير مبللة ولا أعلم ما إذا كان هذا البلل مصدره عرق أم بول أم قيء. كان جسد "ديلان" ساكنًا وباهتًا؛ أقرب للون الأزرق. كان ميتًا؛ وكل ما كنت أستطيع فعله هو أن أمسك جسده الميت بقوة وأصرخ وأبكي وأنام وأتمنى لو أموت أنا أيضًا.

كان "ديلان" دافئًا مرة أخرى حين استيقظت ولا يزال يتنفس. نظرنا أنا وابني إلى بعضنا بعضًا لأول مرة ربما منذ أيام أو أسابيع. قلت له:

- حلمت أنك مت. لقد كان شيئًا مروعًا.

قال "ديلان" في وهن:

- ماء.

مددت يدي إلى إحدى الزجاجات التي وزعتها حول الغرفة. دفعت بالمياه إلى أفواهنا وسط مرضنا البشع.

قلت له:

- كان كابوسًا بشعًا للغاية!

ما زلت أومن بقوة أنه لم يكن كابوسًا، ولكن أن ولدي الصغير أعيد إحياؤه في غرفة أمه القذرة ذات الرائحة الكريهة. طهر قلبه الصافي كل السم من دمه.

لم ينته الأمر بعد. لقد تطلب الأمر شهورًا لنتمكن من ابتلاع الطعام على نحو سليم دون قيء. وكم كانت قرح الفم بشعة! فقد ملأت أفواهنا وكانت مثل القرح المفتوحة التي تشبه اللحم الفاسد وكانت في بعض الأحيان سيئة بما يكفي لجعل أسناننا تتحرك من مكانها وتقع.

لا أعلم المدة التي مضت منذ أن مرت بنا السحابة، ولكن في ذات صباح على السرير الكبير، نهض "ديلان" وجلس وبدأ في رسم أشكال كلاب بأصابعه في ظلال على الحائط. بدأ يُشكل بظلال أصابعه رسومات كلاب على الحائط.. قررت في هذه اللحظة أننا سننجو.

فتحت كل النوافذ والأبواب وسط حالتي المرتعشة، والضعيفة، والنحيلة. سحبت الملاءات من على السرير، وقررت أنه بمجرد أن أصبح قوية بما يكفي سأجر المراتب إلى الأسفل. سآخذها إلى الباب

الأمامي وأحرقها. فتحت علبة من الفاصوليا الحمراء وجلسنا أنا و"ديلان" على عتبة الباب نتشاركها حبة.. حبة.

سأل "ديلان":

- أتعتقدين أن الطيور ستعود؟

جاوبته بحزم:

- بالطبع ستعود. سيعود كل شيء في النهاية.

تذكرت ما قاله السيد "ثورب" عن المسدس، وظننت أنه يجب عليَّ أن أذهب لإحضاره قريبًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ديلان

عانت "مونا" من السعال منذ فترة طويلة وحتى الآن؛ ولهذا عرضت أن أبقى معها حتى تذهب أمي إلى "للين كوم دولين" لتغتسل. أعتقد أن الجو بارد جدًّا للاغتسال ولكن تقول أمي إن رائحة عرقها تزعجها.

أشعلت نارًا، وغلب "مونا" النوم على الكرسي ذي الذراعين ولهذا سأستغل الوقت في الكتابة عن الصوبة الكبيرة. ما زال الأمر يجعلني أبتسم حتى بعد مرور سنوات وسنوات.

حدث الأمر قبل ولادة "مونا" حين قررت أمي ذات يوم ودون أي مقدمات أننا الآن مسموح لنا أن نذهب إلى المنازل الفارغة في "نيبو" ونأخذ أي شيء نريده.

لم أعلم أنني أردت أي شيء. كان لدينا في هذا الوقت صوبتان صغيرتان وكنا نزرع ما يكفي لإطعام أنفسنا. كانت المصائد تجلب لنا الكثير من اللحم. كانت أمي واثقة أن السرقة شيء بشع، ولكن مع هذا ها نحن هنا ندخل بيوت الناس ونأخذ ما نريد. لم يكن أحد في الجوار. وكأن الجميع ذهبوا في عطلة ونسوا أن يعودوا إلى المنزل.

حصلت على ملابس جديدة تناسب مقاسي بالضبط، ودراجة، ومرتبة جديدة لسريري، والقليل من الكتب. أخذت قفازات، ووشاحًا، وجوارب، وأحذية طويلة "بوت" للبحر. ولكن كان لديَّ خطط أكبر.

كنت أنظر إلى الصوب في المنازل. الصوب بلاستيكية، ولها لون أبيض قبيح وبها نوافذ ضخمة. لم يعجبني شكلها على الإطلاق؛ فقد كان منظرها هو العيب الوحيد في البيوت القديمة التي تفتح لنا أبوابها. واحدة فقط هي التي أردتها. أردتها أكثر من أي شيء.

ولهذا حصلت عليها.

لم أكن واثقًا ما إذا كانت ستنفعنا، وشعرت بقليل من الذنب لسرقة غرفة كاملة من بيت أحدهم على الرغم أن هذا الشخص قد رحل من مدة بعيدة. استغرق الأمر منا أنا وأمي شهورًا للقيام به.

كان يجب علينا أولًا أن نختار الصوبة المناسبة. كانت هناك ست صوب في "نيبو"، ولأربع منها حيطان من الطوب. ولهذا لم تكن جيدة لنا لأنه من الصعب تحريك حائط مصنوع من الطوب. كانت هناك واحدة بها خشب ونوافذ، ومادة الـ(UPVC()[1] لحمايتها. قالت أمي إنه سيكون أسهل أن نأخذ الصوبة الخشبية، لأن بحوزتنا مفكات لنفكها ونعرف كيف نتعامل مع أشياء كهذه، كما كانت مناسبة أكثر للمساحة التي امتلكناها بجانب سقف المنزل المائل.

اقتراح رائع يا أمي. كنت ما زلت صغيرًا في وقتها؛ ولهذا كان عليها أن تساعد في كل شيء خاصة النقل من القرية والبناء بعد أن وصلنا إلى المنزل. لم نعرف وقتها عن التسقيف والألواح فصنعنا لها سقفًا من المشمع. لكنه لم يكن جيدًا كما كان من المفترض أن يكون. وضعت لوحًا مناسبًا للسقف بمجرد أن تعلمت كيف بعد سنوات بسيطة.

لم تكن هذه الصوبة الكبيرة مثالية خاصة الطريقة التي وضعناها بها فوق المنزل. سربت المياه لأول عام أو نحو ذلك. ولكنها ممتازة الآن بعد سنوات من المحاولة والتصحيح، والتطوير.

بالطبع لا نستعملها بوصفها مكانًا للجلوس والراحة. لم يكن هذا الغرض منها. إنها مليئة بالنباتات التي تحتاج إلى جو دافئ مثل الطماطم، والكوسة، والفلافل الحارة. نترك نارًا صغيرة مشتعلة هناك في الشتاء في دلو قديم للفحم أخذناه من أحد البيوت في "نيبو". إن الصوبة الكبيرة لا تكون باردة أبدًا.

إن أكثر ما أفخر به هو أن أمي علمت كم كنت أرغب في صوبة كبيرة ولهذا فعلت ما بوسعها لأحصل على واحدة. تركتني أؤدي أغلب الأعمال، حتى الأشياء الخطيرة. علمت أنني بحاجة إلى تعلم أن أعتمد على نفسي في القيام بالأشياء.

كانت الصوبة مجرد الخطوة الأولى. ذهبت لأحضر الثانية المصنوعة من البلاستيك بعد عام أو أكثر. كان بناؤها أسهل مما ظننت. كنت واثقًا أكثر هذه المرة؛ فهي المكان المثالي للحفاظ على البذور وزراعة الصغير منها في الربيع. حفرت "مونا" جحرًا صغيرًا تحت أحد المقاعد ووضعت عليه غطاءً كبيرًا مصنوعًا من فرو الأرنب. كانت تربت عليه كما لو أنه حي.

احتجنا إلى مكان بارد بعد بناء الصوبة الثانية لتخزين البطاطس، والبصل، والجزر، واللفت، والتفاح التي ستكفينا خلال الشتاء. ولهذا بنيت مخزنًا كبيرًا في الحديقة الخلفية: نصفه تحت الأرض وله سقف خشبي كبير. هناك بعض الأرفف، صنعت بعضها وسرقنا البعض الآخر من "نيبو". لم أضع أي شيء على الحوائط؛ لأن التربة المكشوفة جيدة للحفاظ على برودة كل مكان.

بنيت كوخًا صغيرًا من الحجارة الصلبة لتخزين حطب الوقود بعد أن بنيت مخزن الطعام. بداخله ما يكفينا سنوات.

قررت بعد ذلك، أن أبني حمامًا خارجيًّا لأننا كنا نستعمل حُفرًا في الحقول بدلًا من الحمام. ولكن كانت أمي تنتظر أن تلد "مونا" في هذا الوقت وكانت قد اكتسبت الكثير من الوزن وتستحق أن تكون قادرة على أن تجلس على نحو سليم داخل أربعة حوائط حين تريد أن تستعمل الحمام. حفرنا حفرة كبيرة ووضعنا كرسيًّا فوقها (كان كرسيًّا قديمًا من أحد المنازل الثرية في "نيبو"، وعليه صور محفورة على ظهره واسم مكان وتاريخ أيضًا). إن الحمام الخارجي مصنوع من الخشب، ويمكن تحريكه بكرسيه إلى مكان آخر عندما تمتلئ الحفرة في الأرض.

قررت بعد الحمام الخارجي أن أبني صوبتي الخاصة بي. كان الأمر صعبًا لأن الاثنتين السابقتين كانتا مصنوعتين من أدوات أحضرتها أمي قبل "النهاية". ولكن امتلكت بعض المشمع النظيف، والخشب لبناء إطار. ظننت أنها ستكون بسيطة مقارنة بكل الأشياء الأخرى التي بنيتها، ولكن كانت الأصعب حتى الآن. كانت كبيرة وغريبة ومصرة على الخضوع للرياح. كدت أستسلم وألقي باللوم على الخامة السيئة للمشمع. ولكنني لم أفعل هذا وبنهاية العام التالي لم نضطر أنا وأمي أن نقلق بشأن الطعام مجددًا. لم ينفد أي شيء منذ هذه اللحظة.

أقف عادة في أسفل الحديقة وأنظر إلى كل الأشياء التي بنيتها: المباني، والنباتات، والطعام، وأشعر بأنني رجل ولست صبيًّا. لا أريد أن أغير شيئًا واحدًا؛ لا أريد لهذا أن ينتهي. أنا أنتمي إلى هنا الآن.

روينا

هل يبدو الأمر بشعًا؟ النهاية؟ أن تخسر كل شيء، أن ينهار المجتمع، وكل شيء أعرفه إلى أجزاء صغيرة؟

لم أكن قطُّ راضية.

كان الأمر في البداية مثل السقوط. كان هناك نقص في المساعدة، والرعاية، والدعم. وشعور بعدم الأمان فيما يتعلق بالأشياء الأساسية، مثل الصحة والطعام والسكن.

لم أعد أملك ما يكفي من الطاقة للقلق بشأن أي شيء آخر، ننام ليلًا بسهولة بسبب الإرهاق الجسدي الذي يصيبنا بعد العمل الواجب علينا القيام به للبقاء على قيد الحياة. ننام بدلًا من أن نسهر في قلق بشأن أشياء لا يمكن تغييرها. إن الأشياء بسيطة الآن، ومن السهل جدًّا أن نحبها.

ضباب الصباح مثل الأشباح القديمة في أسفل الحديقة.

صوت ضحكة "ديلان" وهو يقرأ شيئًا مضحكًا في أحد كتبه.

الأزهار التي لم تأتِ بعد، وإيماني بها حتى في أقسى لحظات الطقس.

أفكر في كيف كانت الأحوال قبل "النهاية"، ولا أشعر أنني أنا في هذه الذكريات. لا أشعر أنني تلك الفتاة الصامتة والخائفة من العالم.

كنت أذهب في نزهات مع "ديلان" وهو صغير. كنت أضع "الآيفون" في جيبي وألتقط صورًا مثالية لمشاركتها على الإنترنت دون أن أشارك أي شيء عن نفسي فعليًّا. كان "ديلان" منذ الطفولة مولعًا بالشاشات الإلكترونية. أحبطه العالم الحقيقي؛ فقد كان ينقصه البداية، والوسط، والنهاية لحلقة من كارتون "سام رجل الإطفاء" أو كارتون "توماس محرك عربة النقل". عشنا بلا صمت. كان صوت التليفزيون أو الراديو مصاحبًا لنا دائمًا، ولكن كان هناك صمت بشع ومزعج يحيط بالطريقة التي كنا نعيش بها.

تبدأ في الإنصات بمجرد أن تتوقف عن الاستماع.

تنصت إلى عشوائية أصوات المطر على النافذة، وغناء الرياح مثل صفارة الإنذار أو همسات المحب، أو ثقل الثلج على الأرض بالخارج حين تستيقظ في الصباح، وتعلم أنه قد تساقط دون أن تنتظر.

وترى الجمال أيضًا؛ فإن الأشياء أكثر جمالًا عمَّا كانت عليه في السابق، لكنها في الوقت نفسه ليست أجمل. إن كل شيء كما هو، ولكننا نستطيع أن نرى الحقيقة الآن. إن الأشخاص مثلنا لا يعيشون في منازل مثل هذه.

عاش أمثالي من النساء وسط بيوت ملاصقة بغرفتين وحوائط رطبة وجيران مزعجين. أو عاش النساء مثلما عشت في إحدى شقق السكن الحكومي فوق الملاعب. انتشرت بقع بنية في السقف

ورائحة بول كريهة في المصعد. كرهت هذه الشقة. عاش بالطابق أسفل مني زوجان في منتصف العمر يتشاجران دائمًا ويمارسان العلاقة بصوت عالٍ. طلت نافذة غرفة معيشتي على قرية "تاليسران" والمحجر. كنت وحيدة تمامًا. كان المنظر باهرًا؛ كأنه لوحة متغيرة من ألوان الأزرق، والأبيض، والأرجواني على الحائط الخاص بي ولكن لم أستطع أن أرى الجمال.

لو كنت أعيش هناك، وليس هنا عندما جاءت النهاية..

جاء رجل إلى صالون تصفيف شعر "سيلفر سيزورس" ذات مساء وحيا "جاينور" كأنها أمه. لم أرَ أي شخص يعامل "جاينور" هكذا، لا قبل أو بعد هذا، وكان هناك شيء ما في تعابير عينيهما وهما يتصافحان جعلتني أعجب بهذا الرجل.

كان الابن الوحيد لـ"نانسي بارري"، إحدى زبائن "جاينور" القدامى وقد جاء ليلغي موعدها لأنها ذهبت إلى دار رعاية للمسنين في قرية "فيلينهيلي". جلس بجانب "جاينور" وهي تصفف شعر إحدى الزبائن، واستطاع صوته العالي الذي بدا لي لطيفًا أن يملأ أرجاء المحل.

- لا نريد أن نبيع المنزل، حقًّا، ولكن لا أحب فكرة أن يظل فارغًا أيضًا. ولا أريد أن أؤجره فعليًّا. لا أريد أن أعبأ بكل متاعب التأمين والضرائب وكل هذا..

كان طويلًا جدًّا، هذا الرجل أطول من أن يكفيه كرسي. أظن أنه كان قرابة الخمسين عامًا ولكن كانت ابتسامته صبيانية ومشيته المنحنية قليلًا جعلته يبدو وكأنه يحاول أن يختبئ.

سألته "جاينور":

- ألا يمكنك أن تؤجره لأحد وتأخذ المبلغ نقديًّا مباشرة، ولا تعبأ إذًا بكل هذه القواعد؟

صادف أنني نظرت إلى الأعلى في هذه الثانية ولمحت نظرة عينيها في المرآة.

أنقذتني "جاينور" بطرائق عدة. بدأت في الحديث:

- اممم.

التفت الرجل إليَّ وابتسم، ابتسامة ساحرة كشفت عن أسنانه الأمامية المنحنية مثل شواهد القبور القديمة.

كان المنزل صغيرًا، ولكنه في منطقة معزولة وله حديقة. وعلى الرغم من أنني كنت وحيدة في بعض الأحيان فإنها كانت وحدة مسالمة. كان الإيجار هو المبلغ نفسه الذي أدفعه للشقة لأن أسلاك الكهرباء كانت قديمة وخطرة. كانت النوافذ متهالكة وباردة، والمطبخ منذ الستينيات. وقع المنزل بالقرب من سارية التليفزيون الضخمة في "نيبو" التي يمكن أن تراها على بعد أميال وأميال من بحيرة "أنجلسي"، ومدينة "كارنارفون"، وبحيرة "للين". هناك سلسلة من الأضواء الحمراء تضيء الأسلاك المعدنية القبيحة في المساء مثل زهر الخشخاش اللامع. يمكنني أن أرى المنزل من مسافة بعيدة في أي وقت أقود فيه للعودة ليلًا. أتساءل في بعض الأحيان ما إذا كان الرجل يشاهد الأمر من بحيرة "أنجلسي" وينظر إلى سلسلة الأنوار الحمراء الجميلة التي تشير ناحية الجنة.

جاء شهريًّا لتحصيل الإيجار. كانت سيارته مليئة بكراسي الأطفال الخاصة بالسيارات ودمى الدببة، وزجاجات الخمر الفارغة. لم أسأل مطلقًا عن عائلته، ولم يسألني أنا أيضًا.

ظننت حقًّا أنني أحبه.

كان مهووسًا في البداية بفكرة وجودي، أنا المرأة الهادئة والشابة التي تعيش في بيت أمه مثل الشبح. "سأتركها. سآتي لأعيش هنا معكِ يا رو". حين يرحل، كنت أستطيع أن أشم رائحة عطر ما بعد الحلاقة الخاص به، ودخانه، وعرقه حتى بعد فترة طويلة من رحيله.

شاهد بطني وهو يكبر، وجلس في سريري يتحدث عن الأسماء، وفي بعض الأحيان ولكن ليس دائمًا، في بعض الأحيان فقط كانت تتسلل بعض الوعود نصف المكتملة من وراء أسنانه المعوجة. "إنه أنتِ من أريد أن أكون معه"، أو "سأضحي بالعالم لأقدر على..".

فقدت إيماني به بحلول وقت ولادة "ديلان". لم أستطع أن أكرهه لأن الكره عاطفة قوية، ولم أملك أي عواطف قوية تجاهه. رأفت بحاله، وبحياته الرمادية، ونقص شجاعته، وجميع الأيام المملة التي عاشها.

لم يأتِ بعد ذلك مطلقًا لتحصيل الإيجار.

رأيته آخر مرة قبل "النهاية" بأسبوعين وقال لي:

- كل ما أردته هو ألا أوذي أي شخص.

لكنه كان يعلم أن "ديلان" يشاهد الكرتون في المنزل ولم يطلب أن يدخل ليراه. أنا واثقة تقريبًا أنه ميت الآن.

كان اسمه "سام".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

قال "ديلان" في أثناء مراقبته لأخته وهي نائمة، وملتفة مثل القطة على الأريكة:

- لن تتذكر "مونا" الحياة قبل "النهاية" لأنها لم تكن هنا. إن حياتها مختلفة تمامًا لأنها لم تكن هنا في الأيام القديمة.

تفاجأت لسماعي "ديلان" يقول هذا لأنني ظننت أنه يعرف أن "مونا" تحتضر.

كانت فتاتي الصغيرة عمرها عامان أو عامان وبعض الأشهر. وُلدت وسط إحدى أسوأ عواصف الموسم؛ عاصفة اقتلعت الأشجار من الجذور وحطمت إحدى نوافذ كوخ السيد "ثورب" حتى أصبح الزجاج مفتتًا مثل السكر الناعم. قال "ديلان" إن "شكسبير" كتب عن الطريقة التي اهتزت الأرض بها مثل جبان خائف عندما وُلد "أوين جليندور"، البطل الويلزي ولربما سيصبح هذا الرضيع بطلًا أيضًا.

أتذكر أنني ظننته غريبًا أن يقتبس ابني من "شكسبير" في أثناء ولادة أخته.

كان مجيئها مختلفًا عنه. تسرب سائل شفاف من جسمي إلى التربة في في أثناء قيامي مع "ديلان" بالتأكد من أن الصوب مؤمنة قبل العاصفة التي رأيناها تتجمع فوق البحر الأيرلندي. وقفت ساكنة والسائل الدافئ ينساب أسفل ساقي مثل اللمسة الحنون.

قلت بهدوء:

- إن الرضيع قادم.

نظر إليَّ "ديلان" وهز رأسه. كنت أعاني الطَّلق على فترات متقاربة في الوقت الذي كنت أنهيت مهامي. ذهب "ديلان" ليتفقد المصائد وليحضر ماءً من النهر.

جلست على الأريكة مع كتابي المفضل، رواية ويلزية قرأتها مئات المرات ودونت سريعًا ترجمة الكلمات التي لم أفهمها في الهوامش. كان اسمها "Creigiau Milgywn"- "صخور ميلجوين". كانت تحكي عن قصة حب قديمة جعلتني دائمًا أشعر بالدفء والأمان. قرأت وأنا أتألم.

بدأت في الشعور بالدوار حين وصلت إلى الفصل الخامس.

قلت لـ"ديلان" عندما جاء من الخارج:

- اذهب وأحضر المشمع من سقف المنزل المائل، وضعه على الأرض.

لم أرغب في إفساد الفوط بدمائي.

ها نحن إذًا، أنا وابني ننتظر العاصفة والرضيع. لم يمسك بيدي، ولكنه جعلني أبتسم.

- هذا أفضل من المستشفى، أليس كذلك؟ كنتِ تحت تأثير المخدر وفاقدة للوعي عندما كنتِ تلديني. على الأقل ستتذكرين هذه المرة! ماذا سنسمي الرضيع؟

قلت له بين لحظات الطلق:

- اعتاد الناس أن يسموا الكوارث المناخية في أيام ما قبل "النهاية".

فسألني:

- ماذا؟ بأسماء أشخاص؟

فأجبته:

- نعم.. مثل إعصار "كاترينا"، وعاصفة "أيريس"..

فقال لي:

- تخيلي إعطاء الطقس السيئ أسماءً جميلة مثل هذه! أيمكن أن نسميه "دانييل" لو كان صبيًّا؟

فقلت:

- مثل ذلك الاسم في قصة عرين الأسد من الإنجيل؟ مثل قصة النبي "دانيال" وعرين الأسد من الإنجيل؟

فقال:

- لا، مثل "دانييل أوين".

كان "دانييل أوين" روائيًّا ويلزيًّا مات منذ زمن بعيد للغاية. امتلك "ديلان" كومة طويلة من رواياته على الأرض بجانب سريره.

لم أشعر بسعادة مطلقًا عن سرقتي للكتب من المكتبة مثلما شعرت الآن.

كان الأمر سهلًا في نهاية هذه الولادة. فقد كان جسمي يعلم ما عليه؛ متى عليَّ أن أدفع بقوتي لأُخرج الجنين ومتى أتوقف عن ذلك. تسللت الفتاة الصغيرة من جسدي إلى يدي أخيها وفتحت عينيها السوداوين وأخذت نفسها الأول. قبّل "ديلان" جبهة الرضيعة، ثم أصبحت بقعة دمي مثل أحمر الشفاه على فمه. قلت له:

- "مونا".

وهذا لأن "مون" هو اسم قديم لـ "أنجلسي" الجزيرة التي يمكن رؤيتها من سقف المنزل المائل.

- دعني أرضعها.

شعرت بوزنها بين ذراعي، وسرى بين عظامي حب مثل تيار الكهرباء وسط ثديَّ المحتقنين والألم بين ساقي. سبحان الرب، يا لها من معجزة هذه الأمومة، تجعلك دائمًا مستعدًا للحب دون قيود، ودون تعقيدات.

كان ليصبح أمرًا غريبًا قبل "النهاية" أن يساعد ولد صغير أمه على ولادة طفلها. كم كان عجيبًا أن يُسحر بمعجزة الرضاعة الطبيعية، وأن يأخذ المقلاة الصدأة ليطبخ المشيمة.

حذرته قائلة وهو يقطعها إلى شرائح بسكينة حادة:

- لا تستعملها كلها! سأصنع من نصفها حساءً غدًا. هناك العديد من الجزر والبصل يليق بها، ويمكنك إحضار بعض من نبات القراص.

جلسنا نحن، الثالوث الجديد وأكلنا أنا و"ديلان" آثار ما بعد ولادتي كما لو أنها قطعة لحم مشوي. كانت ابنتي نائمة بين ذراعي وفمها لا يزال ملاصقًا لثدي. سألته حين انتهينا من الطعام:

- "ديلان لليويلين" و"مونا".. ماذا؟

رد "ديلان" بحزم:

- "مونا روينا".

فقلت:

- لا، لا. "جريتا". "مونا جريتا".

وهكذا سميناها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ديلان

لا تزال "مونا" مريضة، ولا تريد أن تستلقي في سريرها أبدًا بعد الآن. لا تريد أن تجلس على الأريكة وتلعب بعرائسها، ولا أن تجمع الصخور والزهور في الحديقة مثلما نفعل أنا وأمي. تريد أن تظل بين ذراعي طوال الوقت. ترعاها أمي في الليل؛ ولهذا أخذها أغلب اليوم وأحملها في حمالتها بينما أمشي أو أعتني بالنباتات. إنها أكبر من أن تكفيها الحمالة ولكنني أربطها بحيث تكون أعلى ظهري. ويمكنها بذلك أن تريح رأسها على كتفي إذا أرادت أن تنام. يتملكها السعال في بعض الأحيان، ويرتعش جسدها الصغير من شدته ثم تهدأ ويرهقها ما أصابها.

عدت اليوم إلى "نيبو" وأختي على ظهري. عدت إلى منزل على أطراف القرية، منزل ذهبت إليه عدة مرات فيما مضى ولكن أعود إليه من وقت للآخر بسبب حائط الصور الذي يمتلكونه. لا أعلم لماذا أحبه بشدة أو لماذا آخذ بعضها لأخبئها في صفحات الكتب. إن المنزل كبير، أحد أكبر المنازل في القرية، ويبدو جديدًا تمامًا كما لو أنه بُني منذ أعوام قليلة. إنه منظم أكثر من أغلب المنازل وأزهى. دخلت من الباب الخلفي وخلعت حذائي. لا أخلع حذائي عادة في منازل الناس. قالت "مونا" برقة من على ظهري:

- منزل.

وافقتها الرأي قائلًا:

- نعم، منزل كبير وفخم.

مشيت داخل المنزل مستمتعًا بنعومة السجاد تحت قدمي. أعرف مكان كل شيء: غرفة كبيرة مزدوجة في مقدمة المنزل وثلاث غرف أصغر في نهايته، واحدة منها تعود إلى فتاة مراهقة. مشيت داخل غرفتها وجلست على سريرها. كان اسم الفتاة "كيت"، عرفته من علامة خشبية صغيرة معلقة على الباب.

أحب الذهاب إلى غرفة "كيت"؛ فلديها حائط كامل من صور أشخاص في إطارات: صور لـ"كيت" نفسها، و"كيت" مع والديها، و"كيت" مع أصدقائها. إنها امرأة شابة طويلة ورشيقة ولها شعر طويل مفرود وممشط، وشفاه وردية، وعينان بنيتان. تبتسم في كل صورة، ابتسامة عريضة، ولطيفة تسبب في ظهور تجاعيد بسيطة تظهر على جانبي عينيها.

كانت تمتلك دولابًا في ركن غرفتها مزدحمًا بالبناطيل الجينز والفساتين والكنزات المنفوشة. كان زي مدرستها الموحد مُعلقًا على ظهر باب غرفتها.

لديها رف كتب طويل، ولكنها لم تكن كتبًا جيدة. هناك مجموعة من زجاجات العطر الصغيرة والجميلة في طرف من الرف.

كانت لا تزال شواحن هاتفها وحاسوبها المحمول موصولة بالحائط.

إن كتب مدرستها على مكتبها، ومكتوب عليها بحروف صغيرة وضخمة على الأغلفة: "كيت فرانسيس"، الصف العاشر "ب".

إن "كيت فرانسيس" جميلة جدًّا، جدًّا.

لا أعلم ما هذا الإحساس الذي يراودني وأنا أقف أمام الصور على الحائط؛ محدقًا إلى حياة "كيت فرانسيس". إن ملابسها، وكتبها، وأصدقاءها، كل واحد منهم مجمد للأبد على حائط هذه الغرفة. إنهم أموات كلهم على الأغلب الآن بالطبع، ولكن، لو ظلوا أحياءً لكانوا في عامهم الخامس والعشرين، بالغين مثل أمي. ولكنهم في هذا المنزل المثالي سيظلون شبابًا مبتسمين دائمًا.

ماذا سيكون الأمر لو كنت واحدًا من هؤلاء الفتيان؟

وأن أضحك مع مجموعة من الأصدقاء، وأتعرف إلى أشخاص دون صلة قرابة بيننا. وأن أختار أن نكون أصدقاء وفي بعض الأحيان ألا نختار ذلك. أو ربما أن يكون لديَّ صديقة حميمية؛ فتاة تتجعد عيناها في زواياها حين تبتسم مثل "كيت فرانسيس".

قالت "مونا":

- تعبت.

أراحت رأسها على كتفي. كان يمكنني سماع نفَسها في رئتيها وهو يجرحهما. مشيت إلى الأسفل ناحية المطبخ، وفتحت الخزائن على الرغم من أنني سرقت ما يمكنني أخذه منها من قبل. لم يتبقَ شيء لنا سوى: أطباق، وأواني طبخ، ومعلبات قديمة للغاية من اللحم والسمك. أخذنا أنا وأمي كل شيء من قبل. ولكن كان هناك شيء لم نلحظه إلا في هذا الصباح. فتحت درجًا في المطبخ حيث كان هناك كومة منظمة من المناشف الصغيرة المطوية، وتحتها عبوة طويلة ومستطيلة وعليها كلمة "مرزبان" (معجون اللوز) مكتوبة عليها بأحرف ذهبية وسميكة.

سألت "مونا" وقد رفعت رأسها:

- هل أنتِ مستيقظة؟

فتحت العبوة وشممت محتوياتها. كانت رائحتها مثل السكر، وشيء آخر، شيء دافئ. تذكرني هذه الرائحة بشيء ما بداخلي.

قطعت جزءًا من الـ"مرزبان" وأعطيته إلى "مونا".

قالت لي:

- لا أريده.

فقلت لها:

- ولكنه مميز. إنه جديد.

أخذت الكرة الصغيرة الصفراء من أصابعي. وأخذت قضمة من مستطيل الـ"مرزبان" في يدي. كان رائعًا؛ مليئًا بالسكر وغنيًّا بالطعم. ثم تذكرت فجأة أين شممت رائحته من قبل، في صالون "سيلفر سيزورس" حيث استعملت "جاينور" "شامبو" على شعر كل هؤلاء النساء العجائز رائحته بالضبط مثل الـ"مرزبان". "جاينور"! لم أفكر بها لأعوام. قالت "مونا":

- المزيد.

ابتسمت فلم تأكل لأيام.

سألتها:

- ماذا قلتِ؟

قالت:

- المزيد إذا سمحت.

وأكلنا أنا و"مونا" نصف عبوة الـ"مرزبان" في طريقنا إلى المنزل، وشعرت بالذنب أننا لا نملك سوى نصف هذه الحلوى السكرية والمعطرة لنعطيها إلى أمي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

كانت الحياة سهلة للغاية فيما مضى.

كانت سهلة للغاية للدرجة أننا كنا نلعب مع الموت. من يستطيع أن يخاطر بحياتنا ويهرب بفعلته؟ من يمكن أن يدخن أكثر، ويشرب الخمر أكثر، ويأكل أكثر قبل أن يمرض ويموت؟ وحتى لو مرضنا، لم يهمنا الأمر إلا نادرًا، فقد كان هناك سيل متدفق من الأدوية والأجوبة والعلاج في مستشفى القرية.

احتجنا أنا و"ديلان" إلى طبيب على مر الأعوام واحتجنا أحيانًا حتى إلى مستشفى به فريق من الاختصاصيين الذين يرتدون المعاطف البيضاء ليبتسموا لنا ويعالجونا. مثل تلك المرة التي مرض فيها "ديلان" للغاية لدرجة أنه كان يتغوط دماءً ويرى أشياء لم تكن هناك. أو تلك المرة التي انزلقت من السقف حين كنت أحاول أن أصلح التسريب وكسرت كاحلي. ما زلت أعرج وأنا أمشي، أو ولادة "مونا" والحمى التي أصابتها وعمرها ستة أشهر.

لقد تعلمنا، أنا و"ديلان"، أن نستعمل الطحالب لامتصاص الدم حين يكون هناك جرح كبير ومكشوف. نعلم أن البخار هو أفضل شيء لأدوار البرد أو السعال. تعلمنا أن لدغ أنفسنا بنبات القراص يشفي على نحو مدهش قائمة طويلة من العلل والأمراض.

ولكن لن تُشفى "مونا" الآن. أستطيع أن أرى ذلك، وأعتقد أن "ديلان" يرى ذلك أيضًا. هناك شيء في الطريقة التي تتحرك بها. إن حركة جسمها الصغير مثل حركة رجل عجوز متعب. هناك بطء في حركة عينيها اللامعتين والمتعبتين. ما زالت ترضع لبني ولكنها لا تملك أي شهية وأصبحت نحيفة جدًّا.

كان هناك ذلك التهديد الدائم الذي يحيط بها شيء منذ ولادتها. يمكنني أن أراه في بطء حركاتها، وشيء غريب في شكل رأسها وثقل لسانها وهي تتحدث كلماتها القليلة. لا أعلم ما إذا كان "ديلان" لاحظها ولكنها موجودة. إنها ليست طبيعية. هناك شيء ما، بعض الضعف.

إن صوت سعالها مثل صوت المحرك في الليل، مثل شيء لا يمكن أن يكون مصدره جسدها الصغير.

أقضي معها الليالي على الأريكة، ممسكة بها لأنها لا تستطيع أن تنام وهي مفرودة على ظهرها. تكون حرارتها في بعض الأحيان مصحوبة بعرق لزج وتلتصق أحيانًا ببشرتي إثر تصببها عرقًا بسبب حرارتها المرتفعة وفي بعض الأوقات تكون باردة مثل البلاط. فتحت قميصي البارحة وخلعت ملابسها ولففتنا نحن الاثنتين في غطاء. لامس جلدي جلدها وكانت يديها الصغيرتان على أسفل رقبتي وارتخت قبضتها.

بدأت التحدث إليها في أحلك اللحظات من الليل وهذا لأن قوتي غير الكافية وضعفي لن يوفرا لها سوى الكلمات.

- ها أنتِ ذا، يا "مونا"، حبيبتي الصغيرة "cariad bach".

حركت يدها قليلًا، وأحكمت قبضتها ثم أرختها. لمست عظام كتفي بأطراف أصابعها.

- ستكونين بخير حين يأتي الطقس الجيد. بالطبع ستكونين بخير. وستعود الأزهار، والأقحوان، والخشخاش، والهندباء.

ازدهر لساني بأسماء الزهور وأنا أقولها بالويلزية.

قالت "مونا" بصوت ناعم لم يتعلم كلمات كافية:

- أمي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ديلان

وضعتها في حمالتها في آخر يوم، ولكن بالطريقة التي اعتدتها بحيث تظل ملتصقة بقوة إلى صدري وليس ظهري. كانت تنام بصعوبة، ولهذا حملتها من ذراعيْ أمي هذا الصباح.

قالت أمي:

- اذهب إلى السرير.

فقلت لها:

- لا يجب عليَّ ذلك.

فقالت لي:

- نعم، يجب عليك ذلك. عليك أن تذهب إلى السرير.

نظرت "مونا" إليَّ وأنا أغير ملابسها، وحدقت إلى وجهي بطريقة لم تفعلها من قبل. لم تكن تتفحصني ولكنها تركت عينها تريح نظرتها على وجهي. ألبستها معطفها، ووضعتها في الحمالة، ثم ارتديت معطفًا كبيرًا وأغلقت السحابة علينا نحن الاثنين. كان لا يزال باستطاعتها الرؤية، ولكنها كانت آمنة ودافئة.

أخذتها إلى أماكننا القديمة.

أخذتها حول الحديقة، وإلى الحقل الخلفي، والصوب الكبيرة والصغيرة. "هنا تزهر أزهار البطاطس، أليس كذلك يا "مونا"؟ وهنا نزرع اللفت. وهنا وقعتِ وجرحت ركبتك".

أخذتها إلى حديقة "سونينجدل" حيث كانت تحب أن تفرك يديها في الأعشاب وتستنشقها بعمق. رفعت لأنفها غصنًا من "الروز ماري". أخذت أختي نفسًا قصيرًا، في محاولة منها للبحث عن الصيف في هذه الرائحة.

ذهبنا إلى حقول "نيبو" حيث وجدنا عربة أطفال كانت لها في الماضي، وأغطية، وملابس ضئيلة الحجم. ووجدنا المطبخ حيث أكلنا "المرزبان" منذ أسابيع قليلة.

ثم اتجهنا إلى "للين كوم دولين"، البحيرة الكبيرة والسوداء، والساكنة والباردة. لم يكن الطقس مناسبًا للتجديف، ولكن وضعت ذراعي حولها وغنيت بين خصلات شعرها. تذكرت الليلة التي ولدت فيها، وفمها الصغير على ثدي أمي، وكل ما أحضرته بتسللها إلى العالم. جاءت ومعها أمل، وتجديد، وشيء هائل وعجيب لا اسم له جعل "مونا" متفردة.

نظرت إلى الأعلى للحظة، واتجهت بعينيها إلى البحيرة، ثم الجبال، ثم إلى "كارنارفون" و"أنجلسي"، والبحر الذي لا نهاية له. ثم أراحت رأسها على صدري مرة أخرى وخلدت إلى النوم.

لن أنسى الصوت الذي خرج من أمي. في الحديقة بالخارج، عوت أمي مثل الذئب كما لو أنها كائن لا يعرف الكلمات. اقترب اليوم من نهايته، وماتت "مونا".

دُفنت "مونا جريتا" اليوم تحت شجرة التفاح في البستان ملفوفة في ملابس نومها وبطانيتها المفضلة. كان دفن أختي في التربة أسوأ شيء في العالم. كانت أمي تصرخ نصف الوقت والنصف الآخر تبكي وهي جالسة على ركبتيها وسط العشب. كنت أحاول ألا أنظر إليها لأن شيئًا ما بداخلي أشعرني كأن شيئًا يتمزق. لكنني نظرت إليها، كان وجهها مبللًا وأحمر وقبيحًا. خرجت تنهيدة بشعة وعميقة من رئتي.

وأنا أجرف التراب من القبر، شعرت أن كل طبقة من الأرض أثقل من التي سبقتها. رأيت سهمًا في السماء فوق منزلنا. لم أرَ عصفورًا واحدًا منذ أن هربت جميعًا في سحابة سوداء واحدة منذ كل هذه السنوات السابقة. وها هي الآن قد عادت بهدوئها وجمالها. اليوم هو اليوم الذي دُفنت أختي، ويوم عودة الطيور إلى منزلها.

قلت في صمت:

- الأوز الكندي.

شاهدتها تختفي ناحية "كارنارفون".

جلسنا أنا وأمي اليوم على سقف المنزل المائل مرتديين معاطفنا على الرغم من الطقس الغائم والخالي من النجوم. كانت أمي ساكنة جدًّا جدًّا، وهادئة، وكان وجهها باردًا وغير معبر مثل الرخام.

قلت وأنا أشعر أنني لا أتحدث إلى أحد:

- سأضع شاهد قبر عليه اسمها. وسأحفر عليه "تعرف الطريق إلى المكان الذي سأذهب إليه".

ومضت عينا أمي وكان بهما شيء خطر، شيء جديد.

- من الإنجيل؟

فقلت لها:

- إنجيل "يوحنا". أحبت "مونا" الإنجيل.

تنهدت أمي عاليًا. نظرت إلى عيني وبصقت الكلمات التالية كما لو كانت سمًّا في فمها:

- وأين ربك الآن بحق الجحيم؟

نزلت من سقف المنزل المائل واختفت بين جدران المنزل.

للحظة، ولأول مرة في حياتي، كرهتها. كرهت صوتها ووجهها ورائحتها، وكرهت حقيقة أنها كانت موجودة في كل مرة لعينة التففت فيها، وأسرارها، وتاريخها. كرهت نقص رحمتها وهي تقلل من

إيماني. دام هذا الشعور مجرد لحظة ولكن لم أكره أحدًا قط من قبل. إن الكره في قوة الحب تقريبًا، ولكنه لا يقارن بقوة الإيمان حتى لو من بعيد.

سمحت لنفسي أن أفكر في كل الأشياء التي اعتدت أن أحبسها في رأسي. ما أسرارك؟ من والد "مونا"؟ من والدي؟ لماذا جئتِ بي إلى هذا العالم إذا كانت كل الأشياء تترنح على حافة النهاية؟

كرهتها.

سمعتها بعد وقت قصير تنتحب في غرفتها.

فكرت في "بويلل"، هذا الأرنب البري القبيح وغريب الأطوار والطريقة التي خلدت "مونا" بها إلى النوم وهو ملتف بجانب ركبتيها. لم تعلم أمي بوجود "بويلل". والآن برحيل "مونا" لا يعلم أحد سواي.

لكل شخص أسراره.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

يجب عليَّ أن أكتب من كان والدها، ولست واثقة لماذا. ربما لأن هذا سيجعلها حقيقية أكثر، هذه الفتاة التي لم يُسجل وجودها قطّ، الفتاة التي لم تذهب مطلقًا إلى متنزه أو مدرسة. ابنتي، التي لم يُلتقط لها صورة باستخدام كاميرا "الآيفون". "مونا جريتا"، ابنتي الصغيرة والرضيعة.

كان يومًا ممطرًا في فبراير، وعلَّق بعض الثلج في زوايا الحقول المحمية. مضى تقريبًا عامان على حدوث "النهاية"، والمدة نفسها تقريبًا على رؤيتنا "ديلان" وأنا لإنسان آخر. شعرت أن وجود السيد والسيدة "ثورب" مثل حلم مضى منذ زمن بعيد. وشعرت أن كل شيء قبل هذا: العمل، والمدرسة، و"جاينور" ملك حياة شخص آخر.

بدأ "ديلان" يومه كما هو معتاد بملء حوض الاستحمام بماء من النهر. بدأ في التخطيط لنظام يستعمل الماسورة القديمة لضخ المياه في المنزل، ولكنه لم ينفذه بعد. كان يحمل دلاء مليئة بالمياه للمنزل كل صباح. لم يكن طفلًا عمره ثمانية أعوام بالنسبة إلى عقله، بل كان يظن نفسه عالمًا.

قررت في هذا الصباح أن أمشي إلى الطريق الرئيس ومعي أدوات السيد "ثورب" في حقيبة ظهري. كنا، "ديلان" وأنا، نبني صندوقًا غامقًا وضخمًا لزراعة عش الغراب وكنا بحاجة إلى غطاء كبير ومسطح. ظننت أن إحدى لافتات الطرق ستكون مثالية؛ إحدى تلك التي تدل السائقين على أن هناك ستة أميال متبقية إلى "كارنارفون"، أو اثني عشر ميلًا إلى "بانجور". ولو كانت كبيرة جدًّا، علامة الحد الأقصى للسرعة ستفي بالغرض أو علامة موقف السيارات.

لم يشغل هذا الطريق أي حركة مرورية منذ سنوات. مات الجميع على حد علمي. خطوت على طريق "A487" الذي كان منذ سنوات لا يخلو من همهمة السيارات والشاحنات. احتلت الطحالب والحشائش والأعشاب الضارة طلاء الطريق.

بدأت في إزالة العلامة التي كان مكتوبًا عليها "نيبو 1 سيزاريا 1/2" من عمودها. تصببت عرقًا وأنا أضرب الحديد بمطرقة ثقيلة. لعنتها بصوت عالٍ، ولكنني أيضًا كنت مستمتعة لأنني أعلم أنني سأنجح في رفعها.

قاد رجل دراجة نحوي على طريق "A487". سَبَبتُ بالطبع، ورفعت المطرقة فوق رأسي مستعدة للهجوم. نزل الرجل من دراجته عندما رآني ووقفنا ثابتين محدقين إلى بعضنا بعضًا.

لو كان معي المسدس، لم يكن ليعيش ليقول كلمة واحدة.

بدا مثل المسيح.

كان شعره طويلًا ومتشابكًا، وذقنه يخبئ نصف وجهه. كان نحيلًا جدًّا، وسرواله الجينز قصير للغاية، ويرتدي قميصًا قطنيًّا أبيض. كانت عيناه بنيتين مثل صغير البقرة، مثل الأطفال.

صرخت به:

- اذهب بعيدًا!

كدت أرعب نفسي من حدة صوتي، الذي بدا مثل صوت الحيوانات.

رفع شبيه المسيح يديه، وأظهر كفيه كما لو كنت أرفع سلاحًا باتجاهه.

قال بصوت بدا وكأنه لم يخرج منذ وقت طويل:

- أنتِ هنا! أنتِ هنا!

سألته، والمطرقة لا تزال فوق رأسي:

- من أين جئت؟

قال لي:

- ظننت أنني الوحيد المتبقي. أعيش ناحية "بورثمادوج" ولا يوجد حولي أي شيء. لا أعرف أصحاب المنزل ولكنهم رحلوا.

نظر إلى المطرقة التي بيدي وقال:

- أرجوكِ، لن أُوذيك. أنا مجرد سعيد لرؤيتي إنسانًا آخر.

أنزلت المطرقة بعد ثوانٍ قليلة، وابتسم شبيه المسيح.

سألته:

- أهناك أشخاص في "بورثمادوج"؟

هز الرجل رأسه بالنفي. وأكمل حديثه:

- أعتقد أن هناك رجلًا في منطقة ما حول "بينرين" على ما أظن لأنني رأيت دخانًا. ولكن "بورثمادوج" نفسها ميتة.

هز رأسه كما لو كانت تلك الحقيقة ما زالت صادمة بالنسبة إليه. سألني:

- وماذا عنك؟

هززت رأسي باتجاه المنزل وقلت:

- بالأعلى هناك.

ابتسم كما لو كان لا يعلم أن أضواء "نيبو" الجميلة لم تتوقف عن العمل كل هذه السنوات وقال:

- الفتاة تحت السارية.

قلت له:

- لم أرَ أحدًا منذ سنوات. لكنني لديَّ ولد. أنا لست وحدي.

ابتسم الرجل ابتسامة عريضة. كان وسيمًا على ما أظن؛ على الرغم من أن هذه الفكرة لم تعد ذات قيمة الآن بعد "النهاية". سألني:

- ولد! كم عمره؟

كان اسمه "جويون". جلسنا في منتصف طريق "A487" فترةً، وجهنا لوجه بعض على خط الطريق الأبيض الباهت وحولنا رذاذ ناعم يغمرنا. لم يعرف أكثر مما أعرفه عما حدث أو عما يحدث أو عما سيحدث فيما بعد. يعرف فقط أنه كانت هناك عصابات تقاتل بعضها في البدايات الأولى للأمر؛ كانوا يتقاتلون من أجل الطعام، والوقود، والعلاج. والآن، فهم إما قتلوا بعضهم بعضًا وإما رحلوا إلى مكان آخر. قال "جويون" إنه من الممكن أن تكون الحياة طبيعية في "كارديف" أو "لندن". وأن حقيقة أن المجتمع انهار ليس بالضروري تعني أنه انهار في كل مكان. لا بدَّ وأن جميع الناس ذهبوا إلى مكان ما؛ لا يمكن أن يكونوا قد ماتوا جميعًا.

سألته:

- أحقًّا تصدق هذا؟

هز كتفيه وقال:

- لا أعلم. لا أستطيع أن أقرر ماذا أصدق أو لا أصدق، أو أي أمل على أن أشعر به؟ هل تبدأ الإنسانية مرة أخرى الآن؟ أو هل ننتظر أن ينقذوننا؟

افتقدت مثل هذه المحادثات دون أن أدرك هذا. بالطبع، كان "ديلان" صحبة جيدة، ويمكنه أن يتحدث إليَّ الآن كإنسان بالغ، تقريبًا. ولكنه لم يتذكر سوى أشياء نادرة عن الحياة قبل "النهاية". لم يبد أي شيء عن هذه الفترة منطقيًّا بالنسبة إليه. نهضت بعد فترة وقلت:

- من الأفضل أن أنطلق الآن بهذه.

أومأ "جويون" رأسه ودون مناقشة جاء ناحية لافتة الطريق ليساعدني. خلعنا اللافتة في وقت قصير، لم يتبقَ سوى أن أجرها إلى المنزل لتصبح غطاءً لصندوق عش الغراب.

مد "جويون" يده في حقيبة ظهره. تراجعت خطوة إلى الوراء؛ أطلقت فطرتي إنذارًا بالخطر.

حدق "جويون" إليَّ وسكن فترة قبل أن يقول:

- لن أوذيكِ. لا يجب عليكِ أن تفقدي ثقتك بالأشخاص هكذا.

ثم مد يده داخل حقيبته وأخرج لوحًا من الشوكولاتة الداكنة.

أعطاها لي وقال:

- مر شهر على تاريخ انتهاء صلاحيتها. لست واثقًا تمامًا ما هو التاريخ. لولدك.

لم أعرف ماذا أقول له:

- لا أملك أي شيء لأعطيك إياه.

فقال لي:

- لا أريد أي شيء. أجد أشياء جميلة في بعض الأحيان. سأكون سعيدًا حين أفكر أن ولدًا صغيرًا سيحصل على لوح شوكولاتة.

كان "جويون" سارقًا؛ يذهب من منزل فارغ إلى منزل فارغ آخر ليبحث عن الطعام والملابس والنباتات لحديقته في بيته المسروق. أخبرني أنه دخل المئات من البيوت ولكنني أنا أول شخص يراه.

أضاف لي وأنا أضع الشوكولاتة في جيب سروالي الجينز الخلفي قائلًا:

- حسنًا، شخص حي على الأقل. أعتقد أن السحابة قتلت أغلبهم.

لم أفكر في السحابة منذ فترة على الرغم من أنني علمت دائمًا أنني و"ديلان" لم نكن لننجو لولا المياه التي كنت أغصب على أنفسنا أن نبتلعها عندما مرضنا. لم أكن لأملك طاقة لأصل إلى النهر لو كنت في أضعف حالاتي. كنا سنموت من الجفاف. بدأ "جويون" في الحديث وأخذ ثواني قليلة يفكر فيما يريد أن يشكرني عنه:

- شكرًا لـ.. ظننت أن الجميع قد اختفوا. لم أتخيل قطُّ أنني سأسمع صوت شخص آخر مرة أخرى.

وعلى الرغم من أنني أصبحت صلبة، وباردة، ومتشككة، ابتسمت لـ"جويون" أو شبيه المسيح على طريق "A487".

لا بدَّ وأنه توقع أي منزل ملكنا بسبب وجود الصوب والنباتات الجديدة وبالطبع لاحظ الدخان المنبعث من المدخنة في الجو البارد. كنت أجد هدية على عتبة المنزل كل شهرين: صندوق مكعبات سكر أو أصيص من أعشاب "أسدا" الإيطالية المتنوعة، أو في يوم مميز ورائع وجدت منه قطعة من صابون قديم، من النوع البرتقالي ورائحته التي ذكرتني بالماضي.

وذات ليلة، بعد مرور عام تقريبًا على مقابلتنا في طريق "A487"، كنت أسحب الستائر لأغلقها حين رأيته هناك. كان يقف خلف حائط الحديقة وحقيبته على ظهره. انتابني الذعر مباشرة؛ ماذا لو استيقظ "ديلان" ورآه؟ لم يعلم "ديلان" أي شيء عن "جويون"! ومع ذلك، لم أستطع أن أنكر موجة السعادة التي غمرتني عندما رأيته هناك؛ تلك السعادة التي كنت أفتقدها منذ "النهاية"، نوع السعادة الذي يجعلك تقفز فرحًا، يا لها من مفاجأة لطيفة!

- لا يمكنك الدخول. لا أريد لـ"ديلان" أن يراك.

كانت تلك كلماتي الأولى له. كان يرتدي قميصًا أزرق هذه المرة وبه أزرار صغيرة لامعة مثل اللؤلؤ. بدأ الظلام يحل، وزادت نهاية اليوم من وسامته. بدا لطيفًا.

قال "جويون" بابتسامة عريضة:

- ما زلتِ هنا! يا له من شيء عبقري! أنتِ على قيد الحياة! إنه أمر رائع يا "جريتا"!

لا أعلم لماذا كذبت عليه بشأن اسمي عندما تقابلنا لأول مرة؛ فربما كان كل شيء في هذا العالم الجديد شخصيًّا للغاية وشعرت أن اسمي هو الشيء الوحيد الذي ينتمي إليَّ وحدي. ناداني "ديلان" بأمي. لم يعد أحد يناديني بـ"روينا" بعد الآن. كان يأتي إليَّ كل ثلاثة أشهر أو نحو ذلك؛ ويحضر هدية في كل مرة وبعض الأخبار أيضًا. رأى حوتًا ميتًا على شاطئ "مورفا بيتشان"، وعائلة من الغزال وسط الأعشاب الضارة في موقف سيارات ناحية محلات "تيسكو" في "بورثمادوج". ثم ذات يوم أخبرني أنه تفقد البيوت في "نيبو" من أجلي. لا أحد بها..

- لا تدخلي فقط إلى غرف النوم ذات الأبواب المغلقة لأنكِ تعلمين.. السحابة.

سألته:

- لماذا تخبرني بذلك؟

فأجاب:

- انظري، أعلم أنكِ لا تحبين فكرة السرقة، ولكن أنا واثق بأن هؤلاء الأشخاص لن يمانعوا أن تحظي بأشيائهم. كانت حجتي في الجدال الأخلاقي قد تشكلت بالفعل وتسللت على طرف لساني، ولكنني علمت أنه يقول الحقيقة. كانت قرية "نيبو" على بعد نصف ميل، وعلمت أنه سيكون هناك ملاءات نظيفة لي ولـ"ديلان"، وأواني طبخ وأطباق، وقطع من البلاط المناسب لإصلاح سقفنا. كنت أنام دون مرتبة لثلاثة أعوام تقريبًا، وفكرة التمتع برفاهية النظافة والجفاف كانت أكثر مما أتحمل.

قلت له:

- شكرًا.

علمت أن هذه الخطوة هي التغيير الصغير والضخم في حياتنا؛ أن نقتحم البيوت وندخل، ونسرق، ونعيش على فتات حياة الآخرين. لا، لا أقصد البقاء على قيد الحياة، فنحن نفعل ذلك بالفعل. ولكنني رغبت في المزيد، فقط المزيد. سألته:

- أهناك كتب؟

فأجابني:

- يا إلهي، نعم! هناك الكثير منها، وهي تستحق أن تقرأيها يا "جريتا". تستحق أن يقدرها أحدهم. وهذا ما فعلناه.

لن أكتب عن الباقي. لن أكتب عن يديه وهو يمدها لتمسك يديَّ في وقت الغسق في حديقتي ذات ليلة باردة، أو عن كيف كان شعور أن أتصبب عرقًا مع رجل رائحته مثل الأرض. لن أصف حرارة ابتسامته في الصوبة والثلج يتساقط بالخارج مثل رماد حريق بعيد، أو إبهامه الناعم على خدي. لن أتحدث عن استسلامي أخيرًا لإغراء المفتاح تحت السجادة خارج "سونينجدل" والسماح لأنفسنا بدخول منزل السيد والسيدة "ثورب"، والاستلقاء على سريرهما. كان سريرهما رطبًا ومتربًا، ولكنه

كان ناعمًا مثل سحابة من الجنة. ولن أذكر أو أسمح لنفسي بتذكر الوشم الصغير الموجود على قدمه، والذي أضاءه ضوء القمر الخفيف القادم من النافذة والشمعة المشتعلة على الطاولة بجانب السرير، وحرف "م" المطبوع ببساطة على بشرته الباهتة. لم أسأل عنه ولكنني مررت بإبهامي على الحرف. تحرك "جويون" في أثناء نومه وقال بصوت مكتوم:

- كنت أبًا، قبل كل هذا. لا أستطيع..

لكن من المهم أن أكتب عن "جويون"؛ لأنه سيكون من السهل للغاية أن يُساء فهم علاقتنا: امرأة تقايض جسدها من أجل الطعام، وقطع الصابون، وألواح الشوكولاتة. معاملة تجارية في عالم يمتلئ بالرغبات. ولكن هذه ليست العلاقة التي كونت "مونا". لم يسعد رجل برؤيتي مثلما سعد "جويون"، ولم أشعر مطلقًا بانجذاب صادق، وبدائي، وحقيقي مثل هذا. أعتقد أن الحب مناسب لهذا العالم أكثر من عالم ما قبل "النهاية".

لا أعرف ماذا حدث له؛ فلربما كان يتجسس على المنزل ورأى بطني وهو كرة كبيرة وواضحة تحت قميصي القطني وأنا أنشر الملابس أو أقطع خشب النار. ربما توفي، أو قُتل أو أصابه المرض. ربما ملَّ من انتظار الدعوة للدخول إلى المنزل والاضطرار لرؤيتي في الصوبة أو الكوخ في منزل أشباح السيد والسيدة "ثورب". وربما لم يكن يدعى "جويون" حقًّا، وربما لم يكن نجارًا قبل "النهاية"، وربما لم يملك منزلًا صغيرًا مسروقًا ناحية "بورثمادوج". وربما كان له عشرات النساء يزورهن، نساء ينتظرنه نصف انتظار لرؤية هيئته في نهاية حدائقهن في نهاية اليوم. لكنني اخترت أن أتحلى بالإيمان. لو كان "جويون" هنا، سأختار أن أصدق أنه سيعود إليَّ، وسيعرف ابنته، ويحبها. وما الأشياء التي نصدقها، والأشياء التي نؤمن بها، إلا أشياء اتخذنا كلنا قرارًا بالإيمان بها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

أصبحت الأمور أكثر سهولة وصعوبة بمجرد أن قررت أنه من الممكن لنا أن نسرق من البيوت في "نيبو".

سألني "ديلان" ونحن نتمشى عبر الحقول في أول مرة نسرق بها:

- لماذا غيرتِ رأيكِ؟

كان الشتاء قد أوشك على الاقتراب، و"ديلان" تقريبًا في التاسعة من عمره. كان وقتها بعد أن بدأ "جويون" في زيارتي، ولكن قبل أن أصبح حاملًا بوقت طويل.

قلت له:

- أعتقد أنه حان الوقت لذلك.

فسألني:

- ولكن لماذا؟ لماذا حان الوقت؟

وقفت في مكاني، محبطة دون سبب من ابني، وعلى دراية مؤلمة بسبب قراري الخاص بالسرقة. كنت أخفي وجود "جويون" عنه، وبطريقة غريبة وغير منطقية شعرت بأنني لست وفية لـ"ديلان".

حدقت إلى ابني، والذي كان نحيفًا وله عضلات أكثر من الطبيعي بالنسبة إلى ولد في عمره. ابتسم "ديلان" لي بأسنان والده المعوجة الأمامية في فمه والتي جعلتني أستحضر ذكرى قديمة بداخلي.

سألته:

- "ديلان"، ماذا تريد أكثر من أي شيء في العالم؟

بهتت ابتسامته وهو يفكر في السؤال بجدية. قال لي:

- أي شيء؟

فقلت له:

- أي شيء على الإطلاق.

فكر "ديلان". تذكرت الكريسماس الأخير له قبل "النهاية"، والكمية البشعة من الألعاب المصنوعة من البلاستيك والإلكترونيات التي كان غرضها بطريقة ما إثبات حبي له.

أجاب بحزم:

- صوبة، واحدة تظل محتفظة بحرارتها وملاصقة للمنزل، وبها نار صغيرة.

لم يسعني فعل شيء سوى الابتسام له على الرغم من أنه كان جادًا جدًا. كانت يده قاسية وجامدة، ولكن كانت لمسته حنونة: مثل يدَي بستاني بالفطرة. سألته:

- ماذا تحتاج إلى بنائها؟ لأننا سنبنيها. ابحث عن الأشياء التي تحتاج إليها في "نيبو"، وفي المنازل، وفي الحدائق. وسنأخذها إلى منزلنا، ويمكنك أن تفعل بها ما يحلو لك.

سألني وقد اتسعت عيناه:

- حقًّا؟

فجاوبته:

- حقًّا، ولكن يجب عليك أن تعدني شيئًا. لا تدخل أي منزل إلا بعد أن أحظى بفرصة لأراه أولًا، اتفقنا؟

فقال:

- اتفقنا.

كان أصغر من أن يرى جثة.

هناك شيء ما بمنازل الأشخاص الآخرين.

الشيء الأول والأكثر وضوحًا هو الرائحة. مرت العديد من الأعوام منذ أن عاش أحد في هذه المنازل، ولكن بقت أشباحهم في الروائح الخفية؛ مسحوق الغسيل، أو السجائر، أو الملمع. رحل الجميع كما لو أنهم ذاهبوا إلى العمل ولم يعودوا؛ كوب متسخ في الحوض، فواتير على سجادة مدخل المنزل، أو أحمر شفاه جريء على رف في الحمام. أمضينا أشهرًا ونحن نستكشف بيوت "نيبو"، وكنا نجر غنائم رفاهيتنا إلى منزلنا في حاويات بنية أو خضراء لها عجلات. ثم حافظنا على تلك الحاويات لأنها كانت جيدة جدًّا في تخزين مياه الأمطار. حصلنا على مرتبة مزدوجة لي، وواحدة فردية لـ"ديلان". عشرات، لو لم يكن مئات، من الأطعمة المعلبة وأغلبها صالحة للأكل. كنزات، معاطف، جوارب، أحذية. إبر وخيوط. كتب.

رأيت جثثًا لأول مرة؛ خمسًا أو ستًّا منها، ربما أكثر، لم أكن أعدها. كانت جثث عجائز، وشباب، وأشخاص في منتصف العمر.

تعود بي ذاكرتي دائمًا إلى أولى الجثث التي رأيتها.

حدث الأمر في منزل سكن حكومي وسط مجموعة من المنازل الملتصقة ببعضها. كانت هناك دراجة "BMX" في الحديقة الأمامية كما لو أن مالكها تركها مسرعًا بالخارج حين سمع صوت أمه يناديه من أجل الشاي.

كانا في الغرفة الأمامية في سرير كبير مزدوج، وعظامهما في ملابس النوم في الوقت الذي وجدتهما فيه.. شخص يرتدي لباسًا على شكل "U" وذراعاه في روب حمام بلون اللافندر. شعرهما ما زال

على حالته؛ شعر الأم أشقر ثلجي (يا ترى هل أنا من صبغته؟) والصبي شعره داكن.

وقفت حين دخلت. كان "ديلان" في الحديقة يفحص دراجة الـ"BMX"، سحرته فكرة أن يحصل على دراجة مثلها. أستطيع سماعه في الشارع يلعب بسلسلة الدراجة ويجرب مكابحها.

حدقت إلى جثتي الأم والابن، واستمعت إلى "ديلان" بالخارج، وتذكرت مرضنا بعد قدوم السحابة.

كان يمكن لهذه المرأة في روب الحمام ذي اللون الموف الفاتح أن تكون صديقتي. وربما كان هذا الولد مثل "ديلان"، وكانا يمكن أن يلعبا كرة القدم معًا ويتشاركا في ملكية الـ"BMX". كان يمكن أن يكون صديقه في هذا العالم البارد والقاسي.

خطوت إلى داخل الغرفة، تذكرت فجأة بصورة أو بأخرى المزمور رقم 21 من الإنجيل، وتفاجأت أنني أستطيع أن أتذكر كل كلمة. تلوتُ كل كلمة ولم أومن بأي منها. لا يجب عليك أن تؤمن لكي تتلو المزامير. هناك راحة في إيقاعها خاصة باللغة الويلزية. أقرأها في بعض الأحيان في نهاية اليوم عندما يرُهق عقلي ليفهم حبكة ما يحدث حولنا.

نظرت في دولابها، ورأيت التفاصيل الصغيرة التي تصف من تكون. دُفن كل شيء تحت التراب: أحمر شفاه وردي، وزجاجة عطر اسمها "NRG"، وفرشاة شعر بها خيوط ذهبية بين شعيراتها، ونقود فكة. بطاقة عليها زهرة عبَّاد الشمس من الأمام، وبها كلمات عشوائية مدونة بالداخل. "أتمنى أن كل الأمور على ما يرام. سآتي وأزورك أنتِ و"ناثان" قريبًا، بعد أن تستقر الأمور. مع حبي، "M" وقبلاتي الكثيرة". كانت رسالة بلا هدف، مدونة سريعًا للحاق بالبريد على الأغلب، ولكن كان لها معنى بالنسبة إلى المرأة الشقراء التي تعفنت في سريرها. أخذتها معها إلى غرفتها، مكانها الأكثر خصوصية وشخصية، بدلًا من أن تتركها على عتبة النافذة أو على الثلاجة.

تساءلت أين "M" والقبلات الكثيرة الآن؟!

فتحت أحمر الشفاه الوردي، ووضعته على شفاهي الرفيعة والمتشققة. هل كانت جميلة، المرأة الشقراء؟ كيف كان صوتها؟ هل كانت تقرأ إلى الولد الصغير الذي يرتدي ملابس أطفال من قطعة واحدة "سالوبيت" قبل أن يخلد إلى النوم في الليل؟ هل ابتسمت له عندما كان يعبر من بوابات المدرسة؟

كانت هناك كومة من الملابس على الكرسي في ركن الغرفة في انتظار أن يكويها أحد.

وعدت نفسي أن أعود إلى هذا المنزل وأنا آخذ القدور، والملابس القديمة، والملح. سأحفر حفرة في الحديقة الخلفية، وأعطي هذه العائلة المكونة من فردين مراسم دفن لائقة. ولكن في النهاية، لم أتملك الشجاعة لأفعلها. كانا يبدوان سعيدين في السرير معًا. غطاهما الصمت مثل بطانية إضافية حولهما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ديلان

كان للبوابة لوح رخامي طويل.. حسنًا، كان ملكًا للبوابة حتى سرقناه ووضعناه فوق قبر "مونا". كان من الأسهل أن أنقش الحروف في الرخام والجو جاف وهادئ، لكنني فضلت أن أنقشها الآن و"مونا" في نوم عميق تحتي في الأرض.

مضت تسعة أيام على دفنها، وتغيرت الأحوال. لا نتحدث أنا وأمي على نحو طبيعي؛ ليس كما اعتدنا. لا تأتي وتجلس معي على سقف المنزل المائل في الليل، ولا تقرأ أيضًا. تؤدي بعض الأشياء الأساسية: رعاية الحديقة، والإصلاح، والطبخ ثم تخلد إلى النوم دون أن تقول تصبح على خير. أراقب أنا النار وأقرأ مقالات "تي.إتش باري-ويليامز"، وهو كاتب قديم عاش على الجهة الأخرى من الجبل. أجلس وحدي في بعض الأحيان في إحدى الصوب أو على سقف المنزل المائل. أفكر في "مونا"، وأبتسم في بعض الأحيان وفي بعض الأحيان الأخرى أبكي حتى أشعر أنني سأتقيأ. لست واثقًا لماذا، ولكن أفكر في "بويلل" في بعض الأحيان أيضًا، وأبكيه أيضًا. ولكنني أبكي دائمًا في صمت تحسبًا لأن تسمعني أمي.

أتوق إلى شيء ما، ولكنني لست واثقًا ما هو.

كنت أستعمل المطرقة والإزميل لأكتب الحروف على شاهد القبر وأخذت وقتي حتى أكتبها على نحو سليم. كتبت اسمها بأحرف كبيرة "مونا" ثم "جريتا" تحته. ثم كان عليَّ أن أفكر في شيء جديد لأضعه؛ لأن بسبب ما قالته أمي عن الرب لم أشعر أنه الشيء الصحيح أن أضع اقتباسًا من الإنجيل هنا. أريد أن أتذكر "مونا" وليس الجدال.

جلست على عتبة الباب أفكر فيما أضع. كانت هناك الآلاف من الكتب في المنزل، حفظت نصفها عن ظهر قلب ولكن لم أجد شيئًا مناسبًا.

طار بعض الإوز فوقي. لم أر غربانًا أو نورسًا أو طيورًا مغردة حتى الآن، ولكن لا بدَّ وأنها قادمة.

وأنا أفكر في المسافة التي يطيرون إليها، وكل الأماكن التي يذهبون إليها، فكرت في كيف أن "مونا" انتمت إلى هنا، فقط هنا. كان هذا المكان هو حياتها، وستظل هنا دائمًا طالما نتذكرها أنا وأمي وهي تضع قدميها في النهر وتجمع التوت الأسود. هكذا يعيش الناس إلى الأبد، على ما أظن؛ في ذكريات صغيرة في قلوب من عرفوهم.

عدت إلى الصخرة وبدأت في الحفر.

.Mae darnau ohonof ar wasgar hyd y fro

"تي.إتش باري-ويليامز".

لم أعلم ما إذا كانت "مونا" ستنزعج من وضعي لكلمات ويلزية على شاهد قبرها؛ فلم تتحدث إلينا الويلزية حتى حين كنا نلعب أنا و"مونا" باللغتين. ولكنني ظننت أنها ستتقبل الأمر؛ لأنها لغتها الأم واعتقدت أنها تناسب "مونا".

"إن أجزائي متناثرة في الوادي".

لا يبدو الآن مثل لوح رخامي، ولكن يبدو مثل شاهد القبر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

لم أكتب أي شيء منذ فترة طويلة. لا أستطيع أن أكتب أسباب كل ذلك. أشعر وكأن ضبابًا غير مرئي قد أحاطنا أنا و"ديلان" منذ أن رحلت "مونا". لا يحمل كتاب "نيبو" الأزرق كل الإجابات للأشياء التي لا إجابة لها والعالقة بيننا.

مضت أشهر، لا أعلم عددها، منذ أن دفنا ابنتي الصغيرة، وأشهر منذ أن أمسك "ديلان" بهذا الكتاب وكتب أي شيء. إنه رجل الآن، وهناك حالة من عدم الارتياح بيننا منذ أن جعلني حزني قاسية. أعلم لماذا لا يكتب أبدًا. لا يريد لتلك الفترة أن تُدون أو نتذكرها.

أفكر في تركه لي.

ربما هذا ما سيحدث بعد ذلك. انتقال "ديلان" من هنا، وإعلامه لي بعفوية أنه سيذهب إلى "نيبو" أو إلى الحقل الخلفي لإزالة الأعشاب الضارة من البطاطس، ولا يعود أبدًا. ربما هذا ما يجول بخاطره حين أراه يحدق نحو "أنجلسي" أو عندما يجلس على سقف المنزل المائل في أثناء المطر. ومع ذلك، أعلم في قرارة نفسي أنه أطيب من أن يتركني. أنا مسؤوليته. يؤدي أشياء أكثر مني ليتأكد من أننا سنبقى على قيد الحياة.

حدث الأمر مرة أخرى الليلة، كما يحدث في بعض الليالي. كنت أستسلم إلى النوم حين سمعتها، بصوتها العالي والرفيع يصرخ، "أمي!" كان صوتها قصيرًا، وسعيدًا، ومرحًا وعلى الرغم من أنني كنت أعلم أنني أحلم، فقد نهضت وبحثت عنها. أنا دائمًا أبحث عنها. لن أشفى أبدًا من هذا النوع من الجنون.

نهضت وذهبت إلى غرفة "ديلان". كان الباب مواربًا، وكان نائمًا وظهره لي والأغطية مشدودة بقوة عليه.

قلت له في هدوء:

- أنا آسفة.

نهض "ديلان" مباشرة. سألني:

- هل أنتِ بخير؟

فقلت له:

- نعم، أنا أريد أن أقول إنني آسفة على كل شيء. أنا أحبك كثيرًا.

تمدد الصمت مثل الوقت. كان هناك الكثير ليقال، ولكن تمنيت أنه لن يكون في حاجة إلى ذلك.

هز "ديلان" رأسه.

ثم قلت:

- لا أحب أن أستيقظ وأتذكر ما حدث.

فقال لي:

- لا، ولكننا بخير يا أمي.

ثم نمنا نحن الاثنين، وفي الصباح كانت الأشياء أفضل قليلًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

لم يحدث الأمر سوى هذا الصباح. ما زلت أرتعش. كنت على هذه الحالة طوال اليوم. أبذل قصارى جهدي لأشرح لـ"ديلان"، ولكن تلتصق الكلمات كلها مثل السكر الذائب وأعلم أنني أبدو وكأنني على حافة الجنون. "يعني هذا أنه.. لم أكن أتوقع..".

كان يقطع خشبًا للنار بعد أن أمضى البارحة وهو يجر جذوع الشجر من القرية باستعمال الأغلال القديمة. كنت في الصوبة أفصل وأعيد زرع البذور الصغيرة، وأسقيها، وأضعها في أوعية النباتات في صف على الرف. كنت أدندن أغنية قديمة من الفلكلور الويلزي على إيقاع التقطيع القادم من الخارج. لا أعرف العديد من الأغاني الويلزية، ولكن هذه الأغنية كانت ضمن أسطوانة قديمة لـ"دافيدد إيوان" اعتادت "جاينور" أن تضعها في بعض الأحيان. نغنيها أنا و"ديلان" في بعض الأوقات مثل النشيد. لا أستطيع أن أتذكر النشيد الويلزي الحقيقي، ولكن على أي حال كانت الأغنية عن أرض الآباء ولهذا لم تبدُ منطقية بالنسبة إلينا.

سكت صوت الفأس. انتظرت لحظة معتقدة أن "ديلان" ذهب ليحضر المزيد من الخشب ليقطعه أو ليرتشف جرعة ماء.

ثم سمعت الصراخ، وخطوات ابني تضرب بقوة نحو الصوبة. اختنق نفَسي من القلق "الفأس، الفأس، لقد أُصيب.." ولكنني لم أجد أي دماء عندما جاء إليَّ مفتوح العينين على آخرهما. بدا مثل ولد صغير مرة أخرى.

- ماذا؟

- استمعي!

وسمعت، لم أسمع شيئًا لفترة، ولكن بعد وقت بدأ الصوت في التسلل في هيئة أنين منخفض وخشن.

سأل "ديلان" خائفًا:

- ما هذا؟ يبدو وكأن السماء تنشق!

ركضت سريعًا بجانب ابني وحدقت عاليًا إلى السماء. كان الصوت بعيدًا جدًّا ولكنه عاليًا لأننا كنا معتادين الصمت.

سأل "ديلان" مرة أخرى حين رأى الجسد الأسود الشبيه بالنحلة يقطع طريقه نحو "كارنارفون" وسط السماء الزرقاء الفارغة.

جاوبته:

- إنها طائرة هليكوبتر.

حدقنا إلى بعضنا بعضًا.

أنا خائفة.

من العالم القديم، والأيام الرمادية للشاشات الملونة. من عالم الأشخاص الذين يمرون ببعضهم ولا يلقون السلام، من الحياة العادية. من الهليكوبتر.

ديلان

بدأت أمي في المجيء إليَّ في الأمسيات عندما أكون جالسًا على سقف المنزل المائل. لا نتحدث عن حقيقة أننا أصبحنا صامتين وقتًا طويلًا، أو عن أننا نادرًا ما نكتب في كتاب "نيبو" الأزرق كما اعتدنا. لا نستطيع إيجاد الكلمات المناسبة.

لم نتحدث عن تلك الليلة التي قالت فيها إنها سمعت "مونا" تناديها. لقد قرأت أن الشيء نفسه حدث لـ"تي.إتش. باري ويليامز"، ولكنني لم أخبر أمي. لقد أخذت كفايتها من الإنجيل والكتب القديمة.

قالت أمي ونحن جالسون على سقف المنزل المائل والبخار ينبعث من فمها كما لو كان بحوزتها سيجارة بالفعل:

- أود لو أدخن سيجارة الآن.

قلت لها:

- أود لو أحظى ببعض الـ"مرزبان" الآن.

تذكرت هذا اليوم في "نيبو" مع "مونا"، وطعم السكر واللوز في أفواهنا. ثم تذكرت أيضًا منذ زمن بعيد صالون "جولدن سيزورس"، و"جاينور"، والشامبو برائحة "المرزبان" عند الحوض.

قالت أمي:

- أحب لو أذهب سريعًا إلى قرية "بينيجروس" لأكل كباب بصوص الثوم والكثير من البصل النيء.

فسألتها:

- أتودين ذلك حقًّا؟

أجابتني بصدق:

- لا.

كانت أيام ما قبل "النهاية" تهددنا - نحن الاثنين -.

كانت الهليكوبتر تخترق السماء ببريقها المعدني الضخم والقبيح، ومروحيتها الجريئة المُحطمة لضوضاء المجهول. ثم، لم يُسمع أي صوت لأيام وبدأت دائرة الأسئلة بيني وبين أمي التي لا نهاية لها أن تهدأ.

- ولكن ماذا يعني هذا؟

- يعني أن هناك أشخاصًا هناك، ويحاولون..

- يحاولون أن يقوموا بماذا؟ أن يعيدوا الأشياء لما كانت عليه في السابق؟

- لا أعلم، لا أعلم يا "ديل". لا أعلم.

ثم البارحة، ظهر صوت جديد أسوأ بكثير جدًّا جدًّا من صوت الهليكوبتر. كان الصوت مثل الصراخ، مثل بكاء العديد من الرضع معًا، مثل عويل الرياح في العاصفة.

قالت أمي وهي تتجه بعينيها نحو الطريق الكبير المغطى بالطحالب والعشب:

- أوه لا!

فسألتها:

- ما هذا؟ أهناك شيء يتألم؟

فقالت لي:

- إنها سيارات الشرطة.

مرت السيارات بعيدًا، كما لو أن وجودها له تفسير ما منطقي في هذا العالم.

قالت أمي، وقد تحجر وجهها الشاحب والمجعد:

- اللعنة.

فسألتها:

- ماذا؟

فقالت لي:

- إنه يعود، أليس كذلك؟ العالم كما كان. إنه يعود.

لم أرغب في السؤال، "أهذا شيء سيئ؟"، لأنه من الواضح أنه كان كذلك. ولكنني لم أتوقع أن تكون ردة فعلها هكذا. بدت تائهة، وحياتها مثل البوصلة التي تدور، خارجة عن السيطرة. وأمي ليست من هذا النوع من النساء؛ إنها صلبة وقوية ومسيطرة على كل شيء.

قالت:

- أشعر به يعود وكأنه سحابة تتسرب فوقنا.

وأسرعت في اتجاه "للين كوم دولين".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

روينا

إن أفضل الأشياء هي...

الزرع الأخضر وهو يشق طريقه عبر الأرض الدافئة.

الغروب عند "أنجلسي"، وكيف يجعل السماء محمرة مثل محب خجول.

"ديلان" وهو يغني عندما يعتقد أنني لا أسمع.

رؤية أحدهم على دراجة على طريق "A487" عندما ظننت أن الجميع قد رحلوا.

قمر مكتمل.

دمية "مونا" المصنوعة من خرقة على الرف، الذكرى اللطيفة والمؤلمة ليدها الصغيرة وهي تمسكها بقوة.

تليفزيون صوته مكتوم ومُلقى به على حائط الحديقة وسط باقي القمامة.

الحساء، وقد زرعنا أنا و"ديلان" كل مكون من مكوناته.

غياب الناس، والضوضاء. جميع الغيابات.

الحياة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ديلان

سألتني أمي الليلة ونحن جالسون على سقف المنزل المائل. لقد أصبحت هادئة جدًّا منذ أن سمعنا سيارات الشرطة:

- أتظن أنه سيتم إنقاذنا؟

أجبتها دون تفكير:

- لا نحتاج أن نُنقذ بحق الإله.

مدت أمي يدها وأمسكت بيدي. وقالت:

- أنا حقًّا فخورة بك يا "ديل".

ابتسمت في الظلام؛ فقد جعلتني كلماتها أشعر وكأن هناك نهاية أخرى تلوح في الأفق.

صمتنا فترة، ثم قالت:

- لم أكن على هذه الحال قبل ما حدث، أتعلم ذلك؟

فسألتها:

- ماذا تعنين؟

فأجابتني:

- قبل "النهاية"، كنت خائفة من كل شيء. كنت أظن دائمًا أنه قدري أن أفسد كل شيء. ولكننا أبلينا بلاءً حسنًا، أليس كذلك؟ أنت وأنا. وكان لديَّ "مونا"، وكنت أفعل ما في وسعي..

وافقتها الرأي قائلًا:

- بلى، هذا هو أنتِ يا أمي. تؤدين أفضل ما عندك، ونحن بخير. أنتِ قوية؛ مثل المحاربة.

جلسنا في صمت. لا أعلم بما كانت تفكر أمي، ولكنني كنت أتذكر كل الأشياء الرائعة: مثل الصوب، والنباتات الأولى، و"بويلل"، و"مونا" وهي تلعب بالمياه في "للين كوم دولين"، وكل القصص في كل الكتب، وكتابنا، كتاب "نيبو" الأزرق الذي يحيا وسطها على الرف.

ثم أضيئت "أنجلسي".

كانت هناك موجة من الضوء، أضيء كل واحد تلو الآخر كأنها سلسلة. كانت الأضواء برتقالية وبيضاء. فتحت المنازل وأنوار الشوارع عينيها واستيقظت كما لو أنها كانت قد خلدت إلى النوم منذ عشرة أعوام. كانت الحضارة تعود بجرأة بعد وقت طويل جدًّا.

ابتسمت لنا أنوار "أنجلسي" ابتسامة واسعة مثل الشيطان.

سألت أمي:

- هل أنتِ بخير؟

ضغطت أمي على يدي، ولمعت عيناها الدامعتان وسط الأضواء الجديدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

Notes

[←1]

(1) البولي فينيل كلورايد غير الملدن: وهي مادة رائدة لمواجهة الظروف المناخية وقدرتها العالية على الاحتمال والاستمرارية الطويلة وأيضا هي مادة صديقة للبيئة.

Table of Contents